حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٧ (عدد يناير – مارس ٢٠١٩)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

تكريم الإنسان في ضوء القرآن

بدر بن علي بن محمد العقل *

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه/ في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة القصيم/ المملكة العربية السعودية

المستخلص

لما كان الإنسان مع ضعف خلقته هو الكائن العجيب والمخلوق المكرَّم، وصفوة العالم وزبدته، ودُرَّة الكون وثمرته، ومظهر تجلي عظمة الله وقدرته، وبديع صنعه وعجائب آياته، وهو محور اهتمام القرآن الكريم، ومحل بحثه، والمخاطَب الرئيس فيه؛ إذ نزل عليه هاديًا للطريق القويم، والصراط المستقيم، ومتضمنًا سعادته في الدنيا، ونجاته في العقبى؛ عقدت العزم أن أبحث في هذا الموضوع، وأجمع من خلاله ما جاء في القرآن الكريم من حديث عن تكريم جنس الإنسان، وإظهار صور هذا التكريم، وأوجهه المتعددة، وأشكاله المتنوعة، وخصائصه وواجباته، مبينًا أن الإسلام جاء بمبادئه السامية وتشريعاته السمحة ليرسّخ في الإنسان إحساسَه بمكانته، وليقوِّيَ تمسّكه بكرامته؛ لأنها جوهر إنسانيَّته، ولبّ بشريَّته، وأسّ ذاتيَّته، وليغرس فيه تقديره لمقامه ومنزلته حتى يعمر الأرض بطاعة الله تعالى، وليقيم فيها الموازين بالقسط، وليعبد اللّه وحده لا شريك له. وعنونت البحث بـــ(تكريم الإنسان في ضوء القرآن). وتكونت خطة البحث من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة. والتمهيد: فيه بيان معنى التكريم ، وأن الله هو الكريم المطلق، وتكريمه للإنسان من كرمه سبحانه. والفصل الأول: في خصائص وواجبات تكريم الله للإنسان. والفصل الثاني: في أوجه تكريم الله للإنسان. والخاتمة فيها: أهم نتائج البحث. هذا، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

المقدمة

أ – أهمية البحث:

الحمد لله الكريم المنَّان، ذي الجلال والإكرام، امتنَّ على الإنسان فأوجده وكرَّمه وشرَّفه وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلًا، أحمده – سبحانه – حمدًا يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، وأشكره على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبيَّنا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فالإنسان مخلوق ضعيف بصريح نصِّ القرآن الكريم: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾[1][النساء:٢٨]. ومع هذا الضعف فإنه كائن عجيب ومثير، ومخلوق مكرَّم، وصفوة العالم وزبدته، ودُرَّة الكون وثمرته، وحجر زاويته، وبيت القصيد من مقصوده.

ولقد أراد الله –تعالى– تشريف بني آدم كلهم، وتفضيلهم على غيرهم حين خلق أباهم آدم، وسوَّاه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وجعله خليفته في أرضه، ووكل إليه وإلى ذريته عمارتها، وأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وألبسهم خُلَع الكرامة كلَّها؛ من العقل، والعلم، والبيان والنطق، والشكل والصورة الحسنة، والهيئة الشريفة، والقدّ المعتدل، واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر، والتّمكّن من الاختراع وأنواع الصناعات، والهداية إلى أسباب المعاش مما يعود عليهم بالمنافع والخيرات، واقتناص الأخلاق الشريفة الفاضلة من البر والطاعة والانقياد، وسلَّطهم على غيرهم من الخلق، وسخَّر لهم سائر الخلق، وغير ذلك من الإكرام والإنعام والإحسان مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة[2]؛ إكرامًا لهم، وإيصالًا للنفع إليهم، وتسهيلًا لأمورهم، وإعانة لأداء دورهم ووظيفتهم في الحياة.

ومما يدل على عظم كرامة الإنسان –أيضًا– أنه مظهر من مظاهر قدرة الله تبارك وتعالى ، وتجلي عظمته سبحانه، وتشكيلات جسم الإنسان تنطوي على عجائب وغرائب لا يحيط بها وبأسرارها وحِكَمِها إلا خالقها العظيم سبحانه وتعالى؛ تصديقًا لقوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾؟! [الذاريات:٢١].

وهذا المخلوق الذي يبدو للوهلة الأولى أنه في منتهى البساطة إلا أن أعضاء بدنه تشتمل على بديع صنع الله تعالى، وعجائب آياته، وباهر قدرته؛ مما يحيِّر العقول والألباب، ويشهد لعظمة الخالق سبحانه؛ ولا يوجد دين على وجه البسيطة كرَّم بني الإنسان وشرَّفهم مثلما كرّمهم الإسلام، على اختلاف أجناسهم وأعراقهم، وألوانهم وطبقاتهم؛ حيث جاء الإسلام حافظًا لكرامة الإنسان وإنسانيته، ومؤكدًا على أصالة هذه الكرامة، وأنها جزء أصيل من فطرته وخلقته، ولبّ إنسانيته، وجوهر آدميّته، وقرر تشريعات ومبادئ سامية تصون له حرمتَه، وترعى له كرامته، وتُنزله المكانة التي بوَّأها اللّه تعالى إيّاها، مكرَّمًا مصون الجانب مكفول الحقوق؛ حتى يقوم حق القيام بحمل الأمانة العظمى التي أبت السموات والأرض والجبال حملها، ويعمِّر الأرض بطاعة الله جلَّ شأنه، وليقيم فيها الموازين بالقسط، وليعبد اللّه وحده لا يشرك به شيئًا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦].

وهكذا جاء الإسلام بمبادئه العظام، وتشريعاته السمحة ليرسّخ في الإنسان إحساسَه بمكانته، وليقوِّيَ تمسُّكه بكرامته، وصونَه لها، وذودَه عنها، لأنها جوهرُ إنسانيَّته، ولبُّ بشريَّته، وأسّ ذاتيَّته، وليغرس فيه تقديره لمقامه ومنزلته حتى يؤدِّي دوره في الحياة[٣].

والمتأمل للقرآن الكريم يجد أنه قد عُنِي بالإنسان أيما عناية ، فهو المحور والمخاطَب الرئيس فيه[٤]، كما عُني القرآن بالتكريم الرباني له في آيات كثيرة، عرض لنا من خلالها أوجهًا متعددة وصورًا متنوعة عن تكريم الله تعالى للإنسان غاية التكريم.

لذا عقدت العزم مستعينًا بالله وتوفيقه أن أبحث في هذا الموضوع، وأجمع من خلاله ما جاء في القرآن من حديث عن تكريم الإنسان، وخصائص هذا التكريم وأوجهه وواجباته، وعنونته بـ(تكريم الإنسان في ضوء القرآن).

ب - أسباب اختيار البحث:

١- عظيم عناية القرآن الكريم بتكريم الإنسان، فقد حظي بعناية فائقة في آيات كثيرة مما يستدعي بيانها، وتسليط الضوء على ما تضمنته.

٢ - حديث القرآن الكريم عن تكريم بني آدم شامل لجنسهم، ومظاهره وأوجهه متعددة، فكانت الحاجة قائمة في جمع ما تفرَّق من التكريم في طيات سور القرآن، حتى تعم الفائدة للمستفيدين، ويكون الرجوع إليها ميسَّرًا وقت الحاجة لدى الباحثين.

٣ - وجوه التكريم التي ذكرها القرآن تُبيِّن لنا كرم الكريم -سبحانه- وفضله وإحسانه على الإنسان، كما تبين لنا أهمية الإنسان، ومكانته عند خالقه، وتكريمه وتشريفه له، تحقيقًا لإنسانيته، وحفظًا لكرامته، وتأكيدًا لخلافته.

٤ - قام تكريم الإنسان في القرآن الكريم على اعتبارات وأسس عظيمة تفتقر للتتبع والاستقراء.

٥ - أن كثرة مظاهر التكريم تشي أن مهمة الإنسان كبيرة، ووظيفته جسيمة، وحمله - للأمانة الثقيلة التي تخلت عنها السموات والأرض والجبال- لعظيم جدًّا.

ج - أهداف البحث:

١- بيان كرم الله تعالى على الإنسان، وإحسانه له.

٢- إبراز طريقة القرآن الكريم ومنهجه في تكريم الإنسان.

٣- توضيح الأسس التي يقوم عليها التكريم في القرآن الكريم.

٤- إظهار خصائص تكريم الله تعالى للإنسان، وواجباته.

٥- بيان أوجه تكريم الله تعالى للإنسان.

٦ - بيان أن تكريم نوع الإنسان أصل أصيل في الإسلام، وأنه قد سبق فيه كل المنظمات الغربية والشرقية التي تدعي السبق في التمسك بحقوق الإنسان، والدفاع عنها.

٧ - توضيح سماحة الإسلام وسماحة مبادئه وتشريعاته التي ترسِّخ في الإنسان الإحساسَ بدوره في الحياة، وتقديره بكرامته، ليقوّي تمسكه بها، وصونَه لها، وذودَه عنها.

د - الدراسات السابقة:

لمَّا كانت كرامة الإنسان من أعظم حقوقه، تناول كلّ من كتب في موضوع (حقوق الإنسان)[٥]، موضوع تكريمه؛ ضمن مباحث كتابه؛ وإن كانوا بين مستقلّ ومستكثر، ووقفت على بحث أُفرد في الموضوع عمومًا، وعنوانه: "الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية"، شارك بها كاتبه: الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري؛ في المؤتمر الدولي الحادي عشر للوحدة الإسلامية، المنعقد في طهران، في شهر يوليو سنة

(١٩٩٨م)، ثم نشره في كتيب سنة (١٤٢٠هـ) مع ترجمته بالإنجليزية والفرنسية، ثم أعيد نشره سنة (١٤٣٦هـ) من قِبَل منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -ايسيسكو-، الرباط، المملكة المغربية.

وهو بحث مختصر جميل، يقع في (٢٧ صفحة AF)، تناول فيه كاتبه بعد (مقدمة ومدخل) العناوين التالية: - الدلالة اللغوية للكرامة. - الدلالة القرآنية للكرامة. - المفهوم الإسلامي للكرامة. - الكرامة الإنسانية وحاضر الأمة الإسلامية.

إضافة إلى كون هذا البحث مختصرًا فهو بحث عام في الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، وليس في التخصص الدقيق (أي: القرآن الكريم)، كما يظهر ذلك من موضوعاته، وعنوانه.

ثم إن صلبَ موضوع بحثي هذا يشكّله فصلان؛ وهما: الفصل الأول: خصائص وواجبات تكريم الله تعالى للإنسان. [وفيه ثلاثة مباحث]، وعدد صفحاته (١٥-٢٨). والفصل الثاني: أوجه تكريم الله تعالى للإنسان[وفيه ثمانية مباحث]، وعدد صفحاته (٣٠-٦٣). ولم يتطرق البحث المذكور إلى موضوع هذين الفصلين.

هـ - خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهرسين.

المقدمة: وتشمل أهمية البحث، وأسباب اختياره ، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: بيان معنى التكريم، والإنسان، وأن الله هو الكريم المطلق، وتكريمه للإنسان من كرمه سبحانه. [وفيه أربعة مطالب]

المطلب الأول: معنى التكريم في اللغة.

المطلب الثاني: الفرق بين التَّكريم والإكرَام، وأن التكريم مزيَّة خاصة لبني الإنسان.

المطلب الثالث: ورود (الكرم) ومشتقاته في القرآن، ومعانيه فيه.

المطلب الرابع: أن الله هو الكريم المطلق، وتكريمه للإنسان من كرمه سبحانه.

الفصل الأول: خصائص وواجبات تكريم الله تعالى للإنسان. [وفيه ثلاثة مباحث]:

المبحث الأول: شمولية التكريم للمسلم والكافر.

المبحث الثاني: المساواة بين الرجل والمرأة في الكرامة الإنسانية.

المبحث الثالث: الواجبات المتعلقة بتكريم الله تعالى للإنسان.

الفصل الثاني: أوجه تكريم الله تعالى للإنسان [وفيه ثمانية مباحث]:

المبحث الأول: تكريمه بتحسين خلقه.

المبحث الثاني: تكريمه بالعقل.

المبحث الثالث: تكريمه بالبيان.

المبحث الرابع: تكريمه بالعلم.

المبحث الخامس: تكريمه بإرسال الرسل.

المبحث السادس: تكريمه بشريعة الإسلام.

المبحث السابع: تكريمه بتسخير سائر الخلق له.

المبحث الثامن: تكريمه بالنعم الظاهرة والباطنة.

- **الخاتمة: وتشمل أهم نتائج البحث.**
- **والفهرسان: الأول للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.**

و - **منهج البحث:** سلكت في بحثي المنهج الاستقرائي، حيث جمعت أبرز الآيات التي تحدثت عن تكريم الإنسان، والمنهج التحليلي من خلال تحليل تلك الآيات، وبيان

حِكَمِها وهدايتها، ودلالتها على المراد، متبعًا المنهج العلمي الآتي:

١ – كتابة الآيات الواردة بالرسم العثماني، ونسبتها إلى سورها مع ذكر أرقامها.

٢ – تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية عند أول ذكر لها: فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما أكتفي بتخريجه منهما، أو من أحدهما. وإن كان في غيرهما فأخرّجه من كتب السنن والمسانيد المشهورة، مع ذكر أقوال العلماء في الحكم على درجة الحديث صحة وضعفًا.

٣ –نسبة الأقوال إلى قائليها، مع عزوها إلى مواضعها من كتبهم – إن وجدت–، أو المعتبرة في نقل أقوالهم عند عدمها.

٤ – توثيق الأبيات الشعرية من مصادرها مع ذكر القائل.

٥ – توضيح الكلمات الغريبة التي تحتاج إلى بيان في أول ورودها.

التمهيد: بيان معنى التكريم، وأن الله هو الكريم المطلق، وتكريمه للإنسان من كرمه سبحانه. [وفيه أربعة مطالب]

المطلب الأول: معنى التكريم في اللغة.

التكريم: مصدر من كرَّم يُكرِّم تكريمًا، والثلاثي منه: كرُمَ، والكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهما: شَرَف في الشيء في نفسه، أو شَرَف في خُلُق من الأخلاق. يقال: رجل كريم، وفرس كريم، ونبات كريم. و أكْرَمَ الرجل، إذا أتى بأولاد كِرَام. والكَرَم في الخُلُق يقال: هو الصفح عن ذنب المذنب. والأصل الآخر: الكَرَمُ: وهي القِلادة [٦].

ويقال: كرُم الرجل يكرم كَرَمًا وكرامةً، إذا أعطى بسهولة وجاد، وكرُم الشيءُ عزَّ ونَفُسَ. وكرم السحابُ جاد بمطره، وكُرِّمَ المطرُ: كثر ماؤه، فإذا أفرط في الكَرَم قيل كُرَّام بالتشديد. والاسم: كريم، والجمع: كُرماء وكِرَام وكرائِم. وجمع الكُرَّام: كُرَّامون. ورجل كَرَم – محرَّكة – أي: كريم، يستوى فيه الواحد والجمع. وهي كريمة، والجمع: كرائم. وأكرمه وكرّمه: عظّمه ونزّهه. وتكرّم عن الشائنات أي: تنزه، وأكرم نفسه عنها ورفعها. والمكارم واحدتها: مَكْرُمة، وهو ما استفاده الإنسان من خُلُق كريم، أو طُبع عليه. والكَرْم: شجر العنب لا يسمّى به غيره، والجمع: كُروم [٧].

قال ابن قتيبة: «الكَرِيْمُ: الشريف الفاضل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[الحجرات: ١٣] أي: أفضلكم. وقال: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[الإسراء: ٧٠]، أي: شرَّفناهم وفضَّلناهم. وقال حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، أي: فضَّلْتَ» [٨].

والكريم: من صفات الله وأسمائه، وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق. والكريم: اسم جامع لكل ما يُحمد، فالله –عزَّ وجلَّ– كريمٌ حميد الفعال، وربُّ العرش الكريم العظيم [٩].

وإذا أطلق الكَرَم على الله فيكون اسمًا لإحسانه وإنعامه، وإذا وُصِف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة الّتي تظهر منه، ولا يقال: هو كريم حتَّى يَظهر منه ذلك. والكرم لا يقال إلا في الأمور الكبيرة؛ كإنفاق مال في تجهيز جيش الغُزَاة، وتحمّل حَمَالة ترقأ بها دماء قوم. والإكرام والتكريم: أن يوصل إلى الإنسان نفع لا تلحقه فيه غضاضة، أو يوصل إليه شيء شريف [١٠].

المطلب الثاني: الفرق بين التَّكريم والإكرام، وأن التكريم مزيَّة خاصة لبني الإنسان

(كَرَّمَ وأكْرَمَ) كلاهما واحد في التعدّي، وهما من فصيلة الثلاثي المزيد بحرف، والفرق بينهما باعتبار اللفظ والمبنى، إذ الأول مزيد بالتضعيف على وزن (فَعَّلَ)، والثاني مزيد بالهمزة على وزن (أفْعَلَ). وهناك فرق أيضًا باعتبار المعنى، حيث يُستعمل (كرَّمَ) لِمَا هو أبلغ وأدوم وأعم من (أكْرَمَ)(١١).

فالتّكريم: الإكثار في الإكرام. يقال: كرَّمه: إذا أكثر إكرامه(١٢). ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠]، أي: أكثرنا كرامتهم(١٣).

قال أبو عبيدة في تفسير الآية: «أي: أكرمنا، إلا أنها أشدّ مبالغة في الكرامة»(١٤).

وهذا التكريم لبني آدم على وجه العموم والدوام. قال تعالى على لسان إبليس: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾[الإسراء: ٦٢]، أي: فضّلته عليّ، في حين قال – تعالى–: ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾[الفجر:١٧]، وقال –تعالى–: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾[الفجر:١٥]، وهو يقصد إكرامه بالمال، فاستُعمل التكريم لما هو أبلغ وأدوم وأعمّ(١٥).

قال ابن عاشور: « فأما منّة التكريم، فهي مزية خصَّ بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية، والتكريم: جعله كريمًا، أي: نفيسًا غير مبذول، ولا ذليل في صورته، ولا في حركة مشيه، وفي بشرته، فإن جميع الحيوان لا يعرف النظافة ولا اللباس، ولا ترفيه المضجع والمأكل، ولا حسن كيفية تناول الطعام والشراب، ولا الاستعداد لما ينفعه ودفع ما يضره، ولا شعوره بما في ذاته وعقله من المحاسن فيستزيد منها، والقبائح فيسترها ويدفعها، بله الخلو عن المعارف والصنائع، وعن قبول التطور في أساليب حياته وحضارته»(١٦).

المطلب الثالث: ورود (الكرم) ومشتقاته ومعانيها في القرآن:

لم ترد كلمة: (الكرم) ولا (التكريم) في القرآن الكريم، وإنما وردت مشتقاتهما في آيات كثيرة(١٧)، وأبرز آية في هذا الباب هي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومعاني (الكريم) ومشتقاته في القرآن الكريم جاءت على ستة أوجه(١٨)، وزاد بعضهم وجهًا سابعًا(١٩)، وأوصلها بعضهم إلى اثني عشر وجهًا(٢٠)، ومن أبرز هذه الأوجه:

١- الأفضل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات:١٣]. وقال حكاية عن إبليس: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ [الإسراء:٦٢] أي: فضّلت. وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾ [الفجر:١٥].

٢ – الشرف، قال تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[النساء:٣١] أي: شريفًا.

٣ – الصفوح، قال اللّه تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل:٤٠].

٤ – العزيز، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] أي: العزيز الذي لا يغلب ولا يفوته شيء، فما الذي غرّك به فعصيته.

٥ – الكثير، قال اللّه: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾[سبأ:٤].

٦ – الحسن، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ [لقمان:١٠] أي: حسن، وقوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾[الإسراء:٢٣] أي: حسنًا.

٧ – العجيب الغريب، قال تعالى: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩].

٨ – المنظوم المعجز، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾[الواقعة:٧٧] أي: معجز في النظم.

٩ – المتكرم في زعمه، قال تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾[الدخان: ٤٩]، أي: المتكرم. قال ابن عباس في تفسير الآية: "يقول: لست بعزيز ولا كريم"(٢١).

ويلحظ أن هذه المعاني يمكن إرجاعها كلها إلى المعنى الأصلي للكرم وهو: الشرف والفضل، فكل شيء يَشرف في بابه يوصف بالكريم، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾[لقمان:١٠]، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾[الواقعة:٧٧]. وأرض مَكْرُمة وكَرَمٌ وكريمة: طيِّبة. والكريمان: الحجّ والجهاد، والكريم من كل قوم: ما يجمع فضائله. وأبواه كريمان أي: مؤمنان. وكريمتك: أنفك وكل جارحة شريفة كالأذن واليد. والكريمتان: العينان(٢٢).

ويتضح مما سبق أيضًا أن الدلالة القرآنية للكرامة تنبع من: التشريف، ومن التفضيل، ويرد ذلك في سياق التذكير بفضل اللّه ونعمته على العالمين، ولقد وردت في القرآن الكريم هذه الدلالة في سبع آيات تنبني على الفعلين: (كرَّم) و(أكرم)، بينما تكررت صفة (الكريم) في القرآن الكريم ثلاثًا وعشرين مرة، ووردت بصيغة النعت ثلاث مرات، ووردت بصيغة الجمع ثلاث مرات، وبصيغة التفضيل مرتين، وبصيغة المصدر (الإكرام) مرتين، وبصيغة اسم المفعول ثماني مرات(٢٣).

وفي هذه السياقات جميعًا لا تخرج الدلالة القرآنية للكرامة عن إطار معنى: التشريف، والتفضيل، والتذكير بالإنعام الإلهي، مما يرسّخ في الوجدان أن الكرامة أصل أصيل في النوع البشري، وهي عنصر رئيس في تركيب الطبيعة الإنسانية منذ أن خلق اللّه آدم عليه السلام؛ فالدلالة القرآنية تؤكد بشكل قاطع أن الكرامة الإنسانية هي من جلبته وفطرته، وأنه لا تبديل لفطرة اللّه التي فطر الناس عليها(٢٤).

المطلب الرابع: أن الله هو الكريم المطلق، وتكريمه للإنسان من كرمه سبحانه:

تقدَّم أن من أسماء الله – تعالى – الحسنى: الكريم، ومعناه: المُكرم المُنعم المتفضِّل، الكثير الخير، العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله(٢٥). فهو الكريم، ومنه الكرم، وهو أكرم الأكرمين، أكرم من كل كريم، وأعظم من كل عظيم، وأجود من كل جواد، كرمه – تعالى – ظاهر وباطن، وجلي وخفي، ومادي ومعنوي، وملموس ومحسوس، شمل الكائنات بأسرها ببره وهباته وكرمه، فهو مولي الجميل، ودائم الإحسان،

وواسع المواهب، بل هو الكريم المطلق. يقول الغزالي: «الكريم هو: الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفَّى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جفي عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق، وذلك لله – سبحانه وتعالى – فقط»(٢٦).

وتكريمه –تبارك وتعالى– لبني آدم جزء من كرمه تعالى وإحسانه الذي لا يقادر قدره، وشيء من نعمه التي لا تُعدّ ولا تُحصى، أنعم بها عليهم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]. وكل ما ذكره المفسرون في تفسير الآية من أوجه وأنواع تكريم الله لبني الإنسان إنما هو من باب ضرب الأمثلة فقط، وليس للاستقصاء والحصر أبدًا(٢٧).

قال أبو حيان: «وما جاء عن أهل التفسير من تكريمهم وتفضيلهم بأشياء ذكرها هو على سبيل التمثيل، لا على الحصر في ذلك»(٢٨).

وقال الآلوسي في تفسير الآية: «أي: جعلناهم قاطبة بَرَّهم وفاجرهم ذوي كرم؛ أي: شرف ومحاسن جمَّة، لا يحيط بها نطاق الحصر»(٢٩).

فهذا التكريم إذًا يشمل جميع صور ووجوه الإكرام التي ذكرها المفسرون، وما لم يذكروها –وهو أكثر– مما لا يدخل تحت نطاق الحصر، حيث كرّم الله تعالى بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل والنطق، والخط والفهم، والصورة الحسنة، والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، وبتفضيلهم على سائر الخلق، وبتسليطهم عليهم، وتسخير سائر الخلق لهم، وجعلهم خلفاء الأرض، وكرَّمهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، وغير ذلك من أنواع التكريم التي لا تعد ولا تحصى(٣٠).

الفصل الأول
خصائص وواجبات تكريم الله تعالى للإنسان
[وفيه ثلاثة مباحث]
المبحث الأول: شمولية التكريم للمسلم والكافر
المبحث الثاني: المساواة بين الرجل والمرأة في الكرامة الإنسانية
المبحث الثالث: الواجبات المتعلقة بتكريم الله تعالى للإنسان

الفصل الأول
خصائص وواجبات تكريم الله تعالى للإنسان [وفيه ثلاثة مباحث]

المبحث الأول: شمولية التكريم للمسلم والكافر.

منح الله تعالى الكرامة الإنسانية لجنس بني آدم، وزرعها في جبلّتهم كلهم، وجعلها جزءًا لا يتجزَّأ من طينتهم وفطرتهم التي فطرهم عليها؛ دون النظر إلى العنصر واللون، والجنس وغير ذلك من الاعتبارات البشرية، وذلك أن الكرامة الإنسانية من نعم الله على البشرية، ويشهد الواقع وتسانده النصوص الشرعية أن البر والفاجر والمؤمن والكافر كلهم يعيشون في نعمة الله تعالى، وهذا معلوم بالاضطرار عند جميع أصناف بني آدم، يقول تعالى بعد أن عدَّد نعمه المشتركة على عباده: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨١– ٨٣]. وهذا نص صريح لا يحتمل صرفًا، ويدل على أن مطلق النعمة عام للخليقة كلهم؛ برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم. فالناس إذًا كلهم سواسية في الكرامة الإنسانية التي وهبها الله إياهم، فليس لأي كائن أن ينزع هذه الكرامة الربانية من أي فرد من أفراد البشر، أو ينتقصها، أو يهدرها؛ لأنها كرامة ممنوحة من الخالق الكريم جلّت حكمته، وهي أصيلة في الطبيعة البشرية، ولم تُكْتَسب لتوافر عناصر وعوامل وأسباب، ويدل على هذا مجيء آية التكريم في سورة الإسراء بصيغة العموم، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء:٧٠] فالآية الكريمة تدل دلالة صريحة على أن تكريم الإنسان وتشريفه في الإسلام يتسم بخاصيتي العموم والشمول، وينسحب إلى الماضي والحاضر والمستقبل، ويمتد إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها[٣١].

والتكريم في الآية الكريمة مطلق للجنس البشري جميعًا؛ حيث أقسم ربنا –جل شأنه– أنه شرَّف بني آدم قاطبة، وكرَّمهم في أنفسهم تكريمًا شاملًا لبَرِّهم وفاجرهم، وكرَّمهم بالإنعام عليهم جميعًا، وعاملهم معاملة المكرم بالنعم الوافرة على وجه المبالغة في الصفة[٣٢].

قال أبو بكر الجصاص في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء:٧٠]: «أطلق ذلك على الجنس، وفيهم الكافر المهان..»[٣٣].

وقال أبو السعود: «﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ قاطبة تكريمًا شاملًا لبرهم وفاجرهم؛ أي: كرّمناهم بالصورة، والقامة المعتدل، والتسلُّط على ما في الأرض، والتمتع به، والتمكن من الصناعات، وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة»[٣٤].

وقد نال الفرد الإنساني هذه الكرامة الرائعة منذ تكوينه جنينًا في بطن أمه، وهي كرامة ينشرها منهج الإسلام على كل فرد من البشر، ذكرًا كان أو أنثى، أبيض أو أسود، ضعيفًا أو قويًّا، فقيرًا أو غنيًّا، مسلمًا أو كافرًا(٣٥).

وقد شملت الرعاية الإلهية الإنسان في جميع أحواله المادية والمعنوية، فالله سبحانه ينجّي الإنسان المسافر من مخاطر البحر والبر، وهو سبحانه يصون كرامة الإنسان، ويحمي حقوقه، ويجعله خليفة الأرض، ويسخر له جميع ما في السماوات والأرض من منافع وخيرات، وذلك ما لم يحظ به مخلوق آخر ولا جنس آخر، وتلك فضيلة تميز بها الإنسان، وجعلته يختص بخصائص لا مثيل لها، وتظهر ثمار هذه الخصائص في تمكين الإنسان من الإفادة من خيرات الكون، وفي تفضيل البشر على سائر المخلوقات يوم القيامة، إنها النعمة العظمى، والفضل الإلهي العميم(٣٦).

ولقد جاءت الآيات متضافرة على شمولية التكريم للمسلم والكافر، والبر والفاجر، ومنها قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ١- ٤]. وقوله سبحانه: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾[البلد:٨-١٠]. وقوله –تعالى–: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾[التين: ٤]. وقوله –تعالى–: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[العلق: ٣- ٥].

فهذه الآيات الكريمات تخاطب الإنسان عمومًا بصفته الإنسانية، فتشمل المسلم والكافر، والبَرّ والفاجر، والأبيض والأسود، والكبير والصغير، والغني والفقير، والقوي والضعيف، والذكر والأنثى على حد سواء، إذ الكل في أصل الإنسانية سواء، ولذا فالتكريم الإلهي للإنسان في هذه الآيات يشمل النوع الإنساني، دون تمييز أو تفريق، وإلا لم يتم معنى الامتنان والعتاب في الآيات.

جاء عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قال: كان سهل بن حنيف، وقيس بن سعد قاعدَيْنِ بالقادسية، فمرُّوا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض(٣٧)؛ أي: من أهل الذمة، فقالا: إن النبيَّ ﷺ مرَّت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟!»(٣٨).

وما أعظم تفسيره وأروع تعليله ﷺ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟!»، يعني ﷺ: أن القيام شُرِع لكونها نفسًا، لا لكونها مؤمنة، وأن لكل نفس في الإسلام حرمةً ومكانةً. وظاهر الحديث الشريف يدل على الاحترام والتكريم لكل نفس إنسانية كائنة من كان. ذكر الحافظ أن مقتضى تعليله ﷺ بقوله: ((أليست نفسًا)) أن ذلك يستحب لكل جنازة، وذهب جمع من السلف إلى أن الأمر بالقيام منسوخ، وتعقبه النووي بأن النسخ لا يصار إليه إلا إذا تعذَّر الجمع، وهو هنا ممكن قال: والمختار أنه مستحب(٣٩).

وقد علق ابن باز على الحديث بقوله: "وهذه السنة؛ وحتى لو كانت جنازة مشرك"(٤٠).

وبهذا يتضح أن كرامة الإنسان في الإسلام شاملة لجنس الإنسان، ومستمدة من إنسانيّته، ومن وحدة النشأة لهذا الإنسان المكرَّم دون النظر إلى أي عارض من العوارض التي بنى عليها البشر حقوق الإنسان، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾[النساء:١].

وهذه المساواة بين الناس في القيمة الإنسانية والبشرية لا تنافي التفاضل بينهم فيما يملكونه، ويستطيعون القيام به؛ من التقوى، والإيمان، والعمل الصالح. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، ولهذا فُضِّل المسلم على الكافر بإسلامه وإيمانه وتقواه. وقد صرح القرآن الكريم في أكثر من آية أن الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وأنهم يتفاوتون صعودًا في الدرجات، أو نزولًا في الدركات حسب أعمالهم. قال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]. وقال سبحانه: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]، وقال : ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١].

المبحث الثاني: المساواة بين الرجل والمرأة في الكرامة الإنسانية

كانت المرأة في الجاهلية قبل الإسلام مهضومة الحقوق، مسلوبة الكرامة، مهانة مزدراة، محل التشاؤم وسوء المعاملة، تُورث ولا ترث، وتُملك كسقط المتاع ولا تَملك، بل منهم من كان يئد البنات خشية الذلّ والعار؟! قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨- ٩]. وقال سبحانه :﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل:٥٨-٥٩].

وأما الأديان المحرفة فلم تكن أحسن حالًا من أهل الجاهلية في معاملتها للمرأة، حيث كانت اليهودية المحرَّفة تعتبر حواء ومن ثم المرأة عمومًا سببًا في شقاء الإنسانية، وأنها أخرجت آدم من الجنة، وعرضت الجنس البشري للشقاء والأنكاد، ولذا هم لا يورثون المرأة إذا كان لها أخ ذكر، وكذلك النصرانية المحرَّفة نظرت إلى المرأة باحتقار وازدراء؛ حتى أن المجتمعات المسيحية حتى نهاية القرون الوسطى كانت تبحث في إنسانية المرأة، إذ لم يكن هذا المبدأ قد تقرر بعد!!(٤١).

فجاء الإسلام منقذًا للمرأة من براثن الظلم والاضطهاد، منصفًا ومدافعًا عن حقوقها، فألغى جميع مسالك الجاهلية نحوها، وأعاد لها كرامتها وعزتها، بله إنسانيتها، واحترم شخصيتها، ورفع مكانتها، وأعلى شأنها، وبيَّن لها حقوقها وواجباتها بيانًا شافيًا، وجعلها على مصاف الرجال في الإنسانية والكرامة حذو القذة بالقذة، ومنحها كامل حقوقها، بل أوجب مراعاتها في شتى مجالات الحياة، فأوصى بها، ودعا إلى جبر ضعفها الخَلْقيَّة، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ))(٤٢)، وعَنْ أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٤٣). ولفظ أحمد: "لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوْ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ، فَيَتَّقِي اللهَ فِيهِنَّ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ"(٤٤). وقال ﷺ: ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))(٤٥).

وقدَّمها على غيرها في حسن الصحبة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ : ((أُمُّكَ)) قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((ثُمَّ أُمُّكَ)) قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((ثُمَّ أُمُّكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: ((ثُمَّ أَبُوكَ))(٤٦).

وعَنْ جَاهِمَةَ ﷺ أنه جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ؟ فَقَالَ: ((هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟)) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ((فَالْزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا))(٤٧).

فما من قضية تخص المرأة إلا وعالجها الإسلام علاجًا ناجعًا، وقدَّم لها الحلّ الجذري، كل ذلك نظرًا لما تؤديه المرأة من دور عظيم في الحياة، ولتحقيق الغاية التي خُلِق الإنسان من أجلها، والمرأة المدرسة الأولى للنشء، والركن الركين في بناء الأسرة التي هي القلب النابض للمجتمع، إذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع.

والخلاصة: أنك لن تجد دينًا أو نظامًا في القديم والحديث عالج قضية المرأة، وقام بحل جميع مشاكلها كما عالجها الإسلام، وعلاجه يتسم بالواقعية والعدل والتكامل والشمولية في جميع الجوانب، بعيدًا عن الأهواء والانحيازية والمطامع الشخصية كما هو حال جلّ أدعياء حقوق المرأة في زماننا، بل علاج الإسلام لقضايا المرأة هو العلاج الناجع الوحيد الصحيح، والترياق الحاسم لهذه القضية الساخنة؛ لأنه من عند الله خالق المرأة والعالِم بما يصلح لها ولحالها، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، والآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية المرأة، وواجباتها التي هي في مصلحتها وباستطاعتها، وحقوقها التي هي أهل لها؛ كثيرة جدًّا؛ هي أكثر عددًا من آيات البيع والشراء وسائر المعاملات، وفي هذا دليل واضح على عظيم رعاية الإسلام للمرأة وعنايته بها. وكذلك جاءت السنة النبوية الشريفة فبينت ما لها وما عليها، كما بينت مكانتها السامية في الإسلام(٤٨).

والمتأمل للتشريعات الإسلامية يجد أنها أكرمت المرأة أيما تكريم، وأحسنت إليها أيما إحسان، فجعلتها صنو الرجال وشقائقهم ونظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطباع، وحقوقهن مكفولة في الشرع دون أدنى بخس، قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨] "أي: ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن؛ فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف"(٤٩).

هكذا بوَّأ الإسلام المرأة المكانة الراقية التي تليق بها، وبوظيفتها ودورها في الحياة، فجعلها درة مصونة، وجوهرة مكنونة، فهي الأم المشفقة، والزوجة الحنون، والأخت الكريمة، والبنت اللطيفة، والمدرسة الأولى الحقيقية لإعداد الأجيال، وصناعة الرجال، وصلاحهن صلاح للمجتمع، والعكس بالعكس. وما أحسن قول الشاعر:

الأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدتَّهَا أَعْدَدتَّ شَعْبًا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ
الأُمُّ أُستَاذُ الأَسَاتِذَةِ الأُلَى شَغَلَتْ مَآثِرُهُمْ مَدَى الآفَاقِ(٥٠)

ولقد كرم الإسلام الرجل والمرأة على حدّ سواء، وأعلن المساواة التامة بينهما في القيمة الإنسانية المشتركة، والنسب البشري، والكرامة الإلهية، فجعلهما مكرمين محترمين، مميزين عن سائر مخلوقاته. قال – تعالى– : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء:٧٠].

وقال – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ﴾ [النساء: ١].

وقال – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ خَبِيرٞ ﴾[الحجرات: ١٣].

قال السعدي في تفسير هذه الآية الكريمة: «يخبر تعالى أنه خلق بني آدم من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء..»(٥١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « قد أذهب الله عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، والناس بنو آدم وآدم من تراب»(٥٢).

فقد دل الحديث الشريف على أن أصل بني آدم واحد سواء كانوا رجالًا أو نساء، فلا يليق بمن أصله التراب النخوة والتجبر، أو إذا كان الأصل واحدًا، فالكل إخوة، فلا وجه للتكبر(٥٣).

فليس هناك أي تفريق في الإسلام بين الرجل والمرأة في أصل الحقوق والواجبات، وكلاهما عند الله –عز وجل– سواء لا تفريق بينهما إلا بالطاعة، ومما يدل على المساواة بين الرجل والمرأة في الكرامة الإلهية: أن الله تعالى ساوى المرأة بالرجل في أجمل الصفات وأكمل الحالات، وبهذا نالت ما نال من كرامة ومغفرة وأجر عظيم، فقال – تعالى – : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[الأحزاب: ٣٥].

كما أقر الإسلام مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في العقيدة، والشعائر والأعمال، والحقوق والواجبات، والثواب والعقاب الدنيوي والأخروي، إلا ما استثناه الشارع الحكيم في بعض الأحكام الاستثنائية. وقد أعد الله تعالى للمؤمنات الصالحات في دار كرامته مثل ما أعد للمؤمنين الصالحين، فقال – سبحانه – : ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ ﴾[آل عمران: ١٩٥].

وقال – تعالى –: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾ [النساء: ١٢٤].

وقال – جلّ شأنه – : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[النحل: ٩٧].

وقال– تعالى – : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[غافر : ٤٠].

كما ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الولاية والموالاة، وتحمل أمانة الإصلاح، والدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

كما اعتبر الإسلام النساء شقائق الرجال، فهن صنو الرجال ونظائرهم، وأمثالهم في الأخلاق والطباع والبشريَّة؛ فكأنهن شققن من الرجال(٥٤). فعن عائشة – رضي الله عنها – عن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»(٥٥).

قال ابن القيم في شرح الحديث السابق: "فبيَّن أن النساء والرجال شقيقان، ونظيران لا يتفاوتان ولا يتباينان في ذلك، وهذا يدل على أن من المعلوم الثابت في فطرهم أن حكم الشقيقين والنظيرين حكم واحد، سواء كان ذلك تعليلًا منه ﷺ للقدر أو للشرع أو لهما؛ فهو دليل على تساوي الشقيقين، وتشابه القرينين، وإعطاء أحدهما حكم الآخر"(٥٦).

وقال ابن حزم: «إن كل مسلم عاقل بالغ من ذكر أو أنثى، حر أو عبد يلزمه الطهارة والصلاة والصيام فرضًا بلا خلاف من أحد من المسلمين... »(٥٧).

وإذا كانت المرأة متساوية مع الرجل في الأهلية لتلقي التكليف الإلهي بالعبادة، وفعل الخيرات، وترك المنكرات، وهو قمَّة الأهلية، فمن باب أولى أن تكون متساوية معه في الأهلية لِمَا دون ذلك من القيم المدنية، والحقوق الاجتماعية وغيرها، فللمرأة شخصيتها المدنية وأهليتها للتعاقد وحقها في التملك، فهي تملك إجراء مختلف العقود من بيع وشراء ورهن وهبة ووصية، كما أنها أهل لتحمل الالتزامات ما دامت عاقلة مميزة رشيدة، وليس لزوجها ولا لأحد من أهلها حق منعها في ذلك، كما لا يحل للزوج أن يتصرف في شيء من أموالها إلا إذا أذنت له بذلك أو وكلته في إجراء عقد بالنيابة عنها، ولها أن تلغي وكالته وتوكل غيره إذا شاءت(٥٨).

المبحث الثالث: الواجبات المتعلقة بتكريم الله تعالى للإنسان

أنعم الله -سبحانه وتعالى- على الإنسان بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، وأحسن إليه بمنن عظيمة، وكرَّمه بجميع وجوه الإكرام، ففضله -سبحانه- لا حد له، وكرمه لا ند له، وعطاؤه لا مثيل له. قال -تعالى- : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾[إبراهيم: ٣٤]، والحقوق دائمًا تقابلها الواجبات؛ لأنهما مصطلحان مرتبطان ببعضها، ومتلازمان دائمًا، ومن هنا كان لا بد من بيان واجبات حقوق الكرامة التي منحها الباري – جلت حكمته – للإنسان.

والواجبات المتعلقة بتكريم الله تعالى للإنسان تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الواجب القلبي وهو: شكر القلب، **والنوع الثاني:** الواجب القولي وهو: شكر اللسان، **والنوع الثالث:** الواجب العملي وهو: شكر الجوارح.

فالواجب على الإنسان أن يقوم بحق ربه الكريم الذي كرَّمه بالنعم الظاهرة والباطنة، وأن يطيعه ولا يعصيه، وأن يحمده ويشكره بأنواعه الثلاث على نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة، وأضاع الشكر الواجب عليه. قال -تعالى- : ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾[إبراهيم: ٧]. وقال-تعالى- : ﴿ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾ [لقمان: ١٢].

قال أبو السعود في تفسير قوله -تعالى- : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا ﴾[الإسراء:٧٠]: «فحق عليهم أن يشكروا هذه النعم ولا يكفروها، ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة، ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحد ممن له أدنى تميز فضلًا عمن فضل على من عدا الملأ الأعلى الذين هم العقول المحضة»(٥٩).

وقال المراغي في تفسير الآية: «والخلاصة: أن في الآية حثًا للإنسان على الشكر، وألا يشرك بربه أحدًا؛ لأنه سخّر له ما في البر والبحر، وكلأه بحسن رعايته، وهداه إلى صنعة الفلك لتجري في البحر، ورزقه من الطيبات، وفضله على كثير من المخلوقات»(٦٠).

وكيف يتجاهل الإنسان نعم الله عليه، وتكريمه له، وهو الذي خلقه فسواه في أحسن تقويم؟ وركبه تركيبًا قويمًا معتدلًا في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، كما قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار:٦ – ٨]. وإنما أتى باسمه ﴿ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ ؛ لينبه على أنه لا ينبغي أن يُقابل الكريم بالأفعال القبيحة، وأعمال السوء . فهل يليق بك -أيها الإنسان- بعد كل هذا أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟! إن هذا إلا من جهلك وظلمك وعنادك وغشمك، فاحمد الله أن لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من

الحيوانات، ولهذا قال سبحانه: ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ وهذه المنن الجزيلة التي أنعم الله بها على الإنسان تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكر الله على نعمه، وأن لا يستعين بها على معاصيه، وكيف لا يقوم العبد بشكر من أولى النعم ودفع النقم(٦١).

وربنا جل وعلا يحثنا دومًا على عبادة الشكر، قال – تعالى – : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]. فالله –سبحانه– كرم الإنسان بأنواع التكريم ليتمكن به من عبادة ربه، فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة ونعمة على طاعة مولاه، وتقوية صلته بالله، فيحمده على إنعامه وإحسانه، ويشكره على فضله وامتنانه وعطائه.

وأصل الشكر: هو: الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له، والذل والمحبة(٦٢).

قال السعدي: «الشكر: اعتراف القلب بمنة الله تعالى، وتلقيها افتقارًا إليها، وصرفها في طاعة الله تعالى، وصونها عن صرفها في المعصية»(٦٣).

فالشكر يدور على ثلاثة أركان لا يكون العبد شكورًا إلا بمجموعها، أحدها: اعترافه بنعمة الله عليه، والثاني: الثناء على الله بها، والثالث: الاستعانة بها على مرضاته(٦٤).

أنواع الشكر:

والشكر على ثلاثة أنواع(٦٥)، وقد جمعها الشّاعر في قوله:

أفادَتْكم النَّعْماءُ مِنِّي ثلاثةً   يَدِي ولِساني والضَّمِيرَ المُحجَّبا(٦٦)

النوع الأول: شكر القلب، وهو: الاعتقاد بأن الله – سبحانه وتعالى – ولي النعم كلّها، و محبته تعالى ومعرفته، وتعظيمه. وهو الواجب القلبي للتكريم.

قال الله – تعالى –: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾[النحل: ٥٣]. ففي هذه الآية:: التذكير بأن الإنسان في جليل أمره ودقيقه إنما هو في نعمة الله وأفضاله، إيجاده داخل في ذلك فما بعده.(٦٧) فيجب عليه شكر الله تعالى على جميع إنعامه.

النوع الثاني: شكر اللسان، وهو: الاعتراف بالنعمة وإظهارها بالذكر لها، والحمد والثناء على مسديها. وهو الواجب القولي للتكريم.

قال الله – تعالى –: ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾[الضحى:١١]، «بشكرها وإشاعتها وإظهار آثارها وأحكامها، أريد بها ما أفاضه الله تعالى عليه– عليه الصلاة والسلام – من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة...»(٦٨).

والنعمة في الآية شاملة للنعم الدينية والدنيوية، ومن حق مسدي هذه النعم أن نثني عليه بما هو أهله، ونشكره على نعمه، ونخصّصها بالذكر إن كان هناك مصلحة، وإلا نحدِّث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدّث بنعمة الله، داع لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن(٦٩).

وعن أبي مالك الأشعري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن – أو تملأ – ما بين السماوات والأرض...»(٧٠).

النوع الثالث: شكر العمل، وهو: دؤوب النفس على الطاعة، وصرف النعم في طاعة الله تعالى ومرضاته، وصونها عن صرفها في المعصية. وهو الواجب العملي للتكريم.

قال الله – تعالى –: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[سبأ:١٣]، ففي الآية دليل على أن الشكر يكون بالفعل، كما يكون بالقول وبالنية [٧١].

وعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: كان النبي ﷺ يصلي حتى ترم، أو تنتفخ قدماه، فيقال له، فيقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[٧٢].

الفصل الثاني:
أوجه تكريم الله – تعالى – للإنسان.
وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: تكريمه بتحسين خلقه
المبحث الثاني: تكريمه بالعقل
المبحث الثالث: تكريمه بالبيان
المبحث الرابع: تكريمه بالعلم
المبحث الخامس: تكريمه بالنعم الظاهرة والباطنة
المبحث السادس: تكريمه بإرسال الرسل
المبحث السابع: تكريمه بشريعة الإسلام
المبحث الثامن: تكريمه بتسخير سائر الخلق له

الفصل الثاني
أوجه تكريم الله تعالى للإنسان [وفيه ثمانية مباحث]

المبحث الأول: تكريمه بتحسين خلقه:

دلت آيات كريمات من القرآن الكريم على أن الله – سبحانه وتعالى – كَرَّم الإنسان، وفضَّله بأوجه عديدة، وخصه بخصائص تميِّزه عن سائر المخلوقات، وترقى به إلى أعلى الدرجات، ومن هذه الأوجه والخصائص: تحسين خلقه، حيث خلقه في أفضل صورة، وأحسن تقويم، صورة تليق بآدميّته، وبالتكريم الذي حظي به من خالقه الكريم.

وقد مرَّ خلق الإنسان بمراحل تظهر فيها عظيم صنع الله تعالى، وباهر قدرته، وذكر القرآن الكريم هذه المراحل بدقة متناهية سبق مئات السنين الطب الحديث الذي جاء بمصداق ما جاء في القرآن، حيث يبتدئ خلق الإنسان بنطفة ضعيفة، فعلقة، فمضغة، فمرحلة خلق الأجهزة، ثم الخلق الآخر، قال تعالى مبينًا هذه المراحل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤]. والخلق الآخر هو: أن الله تعالى بعد تلك الأطوار نفخ في الإنسان الروح فخلقه في أحسن هندام، وأجمل صورة، فصيَّره إنسانًا وكان جمادًا، وناطقًا وكان أبكم، وسميعًا وكان أصم، وبصيرًا وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة، وغرائب حكمة، لا يحيط بها وصف الواصفين، ولا شرح الشارحين، فتعالى الله تعالى في قدرته وصنعه وحكمته(٧٣)، وإتقانه في مخلوقاته، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

ومن الآيات الدالة على تحسين خلق الإنسان ما يلي:

١ – قال الله – تعالى –: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

ففي هذه الآية يمتن الله تبارك وتعالى على الإنسان بأن خلقه في أعدل خلق، وفي أحسن صورة وشكل، منتصب القامة، مستوي الخلقة، كامل الصورة، أحسن من كل حيوان سواه، و"لم يخلق حيوانًا أحسن صورةً من الإنسان"(٧٤)، حيث يمشي الإنسان قائمًا

منتصبًا على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «خلق كل شيء منكبًّا على وجهه إلا الإنسان»(٧٥). وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا، يفقه بذلك كله، وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية، والتقويم: تصيير الشيء على ما ينبغي أن يكون في التأليف والتعديل(٧٦).

وقد ذكر القرطبي لطيفة عجيبة في تفسير الآية، حيث روى أن عيسى بن موسى الهاشمي كان يحب زوجته حبًّا شديدًا، فقال لها يومًا: أنت طالق ثلاثًا إن لم تكوني أحسن من القمر، فنهضت واحتجبت عنه، وقالت: طلقتني! وبات بليلة عظيمة، فلما أصبح غدا إلى دار الخليفة المنصور، فأخبره الخبر، وأظهر للمنصور جزعًا عظيمًا، فاستحضر الفقهاء واستفتاهم. فقال جميع من حضر: قد طُلّقتْ، إلا رجلًا واحدًا من أصحاب أبي حنيفة، فإنه كان ساكتًا. فقال له المنصور: ما لك لا تتكلم؟ فقرأ الرجل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، ثم قال: يا أمير المؤمنين، فالإنسان أحسن الأشياء، ولا شيء أحسن منه. فقال المنصور لعيسى بن موسى: الأمر كما قال الرجل، فأقبل على زوجتك. وأرسل أبو جعفر المنصور إلى زوجة الرجل: أن أطيعي زوجك ولا تعصيه، فما طلقك. فهذا يدلك على أن الإنسان أحسن خلق الله باطنًا وظاهرًا، جمال هيئة، وبديع تركيب الرأس بما فيه، والصدر بما جمعه، والبطن بما حواه، والفرج وما طواه، واليدان وما بطشتاه، والرجلان وما احتملتاه(٧٧).

٢ - قال - تعالى - : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٨].

ففي هذه الآية يقول تعالى معاتبًا للإنسان المقصر في حق ربه، المتجرئ على مساخطه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾. أيُّ شيء خدعك أيها الإنسان، وجرَّأك على عصيان الرب الكريم، الذي جعلك سويًّا معتدل القامة منتصبها، في أحسن الهيئات والأشكال، والتعرض لعنوان كرمه تعالى للإيذان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مدارًا لاغتراره أغواء الشيطان، ويقول له: افعل ما شئت فإن ربك كريم، قد تفضل عليك في الدنيا، وسيفعل مثله في الآخرة، فإنه قياس عقيم، وتمنية باطلة، بل هو مما يوجب المبالغة في الإقبال على الإيمان والطاعة، والاجتناب عن الكفر والعصيان، كأنه قيل: ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه، الداعية إلى خلافه(٧٨).

٣ - قال -تعالى- : ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧] ففي هذه الآية يخبر تبارك وتعالى أنه أحسن خلق كل مخلوق خلقه، حيث خلقه خلقًا يليق به، ويوافقه، وخص الآدمي بخلق مميز لا تقترح العقول حسنًا فوق حسنه؛ لشرفه وفضله فقال سبحانه: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾، وذلك بخلق آدم -عليه السّلام- أبي البشر(٧٩).

٤- قال - تعالى -: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: ٥٠].

فقد دلت الآية على أن ربنا تبارك وتعالى أعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال على حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته، ثم يسَّر كل شيء لمنافعه ومرافقه، وإلى ما خلقه له[٨٠].

٥- وقال – تعالى- : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤].

٦- قال –تعالى-: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التغابن:٣].

بين الله تعالى في الآيتين أنه خلق الإنسان في أحسن الأشكال، ومنحه أكمل الصور في أحسن تقويم، وأودع فيه من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها عن الكمالات البارزة والكامنة، وزينه بصفوة صفات مصنوعاته، وخصَّه بخلاصة خصائص مبدعاته، وجعله أنموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة[٨١].

وبهذا يتبين لنا أن الله – سبحانه وتعالى – خلق الإنسان في أحسن الأشكال، وأكمل الصور وفي أحسن تقويم، ولو تأمل الإنسان وتفكر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله، ونظر إلى خلقه وما فيه من حُسن وجمال وكمال، وأنه متميز عن سائر الحيوانات؛ لعرف أن وراء ذلك الخلق البديع رب خالق كريم، حكيم في خلقه، وأن هذا الخالق العظيم هو القادر على كل شيء، وهو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه بهذه التصاريف لا يشاركه فيها أحد،﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[غافر: ٦٤]. وبهذا يشعر الإنسان بهذه النعمة العظيمة، وبهذا التكريم الذي خصه به خالقه.

وفي جسد الإنسان أسرار عظيمة اكتشف العلم التشريحي بعضها، فرآها معجزات عظيمة، وسيبقى الإنسان يكتشف ما في جسده وما في هذا الكون حتى يتبين أن الله حق ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣]. ولقد كشفت البحوث والدراسات –بعد التطور العلمي المذهل، والاكتشافات الهائلة في علم التشريح، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم الخلية، وعلم الأجنة– أن الإنسان من أعقد الأحياء على وجه البسيطة، وجسمه يتألف من (ألف مليار) خلية، وكل خلية تتألف من نواة داخلها، وكل نواة تحتوي على شريط الحامض الأميني النووي(DNA)، وهو ملفوف بشكل لولبي، ويحمل الثروة الوراثية للإنسان، والمؤلفة من مواد كيماوية.

ويقدِّر العلماء أنه لو أفردت جميع الشرائط التابعة لجسم إنسان واحد بشكل خط مستقيم لبلغ طولها(١٥٠) مليون كلم، أي: المسافة بين الأرض والشمس، كما قدر بعض العلماء أن الشرائط التابعة للإنسانية جمعاء يمكن احتواؤها داخل مكعب حجمه سنتيمتر فقط!!

ويقول بعض العلماء: إن هذا الشريط في الخلية الواحدة عند الإنسان يتألف من (١٠٠ مليون) حلقة تحوي (١٠٠مليار) خلية، أي: ما يعادل ربع النجوم في مجرتنا (درب تبانة)، ويتألف جسمه من عدد ضخم من الأجهزة، أهمّها القلب الذي هو من أعجب الآلات في جسمه، حيث يضخّ كل يوم أكثر من (٨٠٠٠) لتر من الدم! وفي كل عين يوجد أكثر من مئة مليون من المستقبلات الضوئية! وحدقة العين مقدارها عدسة فقط ومع هذا فتأمل كيف تحيط بنصف السَّماء دفعة مع عِظَمها! وفي كل أذن أكثر من ثلاثين ألف خليَّة سمعيَّة! وفي دم الإنسان أكثر من (٢٥) مليون مليون كرية حمراء، وأكثر من (٢٥)

ألف مليون كرية بيضاء! وفي معدة الإنسان يوجد أكثر من ألف مليون خليَّة! وفي كل يوم يتنفس الإنسان أكثر من (٢٥) ألف مرَّة يسحب خلالها أكثر من (١٨٠) ألف لتر من الهواء! وهذا مجرد مثال، وهو غيض من فيض مما تم اكتشافه في هذا المجال، وهناك الكثير لم يُكتَشف أصلًا على الرغم من التطور العلمي والاكتشافات الهائلة في علم التشريح، وعلم وظائف الأعضاء والخلية والأجنة، وما اكتشفوه في هذا المجال لا يشكل إلا جزءًا بسيطًا من هذا العلم الكبير، وخاصة الدماغ وتشريح الجهاز العصبي المركزي ووظائفه وعمله الذي يفوق التصور العقلي. وهكذا كلُّ عضو من أعضاء الإنسان يحتوي على حقائق مذهلة ، وتنطوي على بحر من بحار الحكمة ، بحيث لو ذهبنا إلى تفصيلها لدهشت من عجائبها العقول، وعييت القُوى، وتحيرت النُّهى، فعجائب بدن الإنسان لا يمكن استقصاؤها أبدًا(٨٢).

وفذلكة القول أن "الإنسان نفسه أُحجيَّة الوجود؛ «جِرمٌ صغيرٌ وفيه انطوى العالم الأكبر»، واقف في مكانه وذهنه يتحرك يقطع ما بين المشرق والمغرب، بل ما بين الأزل والأبد، في أقلّ من ثانية. ضعيف ولكنه قوي، ضعفه محقّق وقوته تتحقق إن كان لها مدد من قوة الله، وإلاّ فهي قوة مزعومة لا تقوى على أهون ما خلق الله من دقائق الحيوانات التي لا تراها عين ولا تلمسها يد"(٨٣). فسبحان الخالق العظيم ما أعظم شأنَه! وأظهر برهانَه! ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾[السجدة:٧].

المبحث الثاني: تكريمه بالعقل

العقل نعمة وأي نعمة، والإنسان بدون عقل هو والحيوان سواء؛ ومن هنا كان العقل معدودًا من أعز النعم وأجلّها، ومن أعظم تكريم كرَّم الله به الإنسان، كيف لا، وبه يُعرف الله تعالى، ويُفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه، وتصديق رسله، وهو شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، ويُميَّز بين الحق والباطل، والمحق والمبطل، وبين الخير والشر، والصدق والكذب، ويتم إعمال الفكر في مكنونات الكون، والإفادة من ذخائر الأرض ودفائنها، وهو محور التكليف، وأساس التشريف(٨٤).

ولذا جعله الإسلام أحد الضروريات الخمس المتفق عليها بين الشرائع السماوية كلها، والتي يجب الحفاظ عليها ورعايتها؛ لأن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليها، ويتميَّز العقل بأنه لا وجود على الضرورات الأربع الأخرى بدون كمال العقل؛ ومن هنا كانت المحافظة على العقل أمرًا جوهريًّا في الإسلام(٨٥).

والعقل جوهر أكرم الله به الإنسان، ونور وبصيرة خصها به، وهو طاقة هائلة من القدرة على الفهم والإدراك، وقيل في تعريفه: "غريزة يتهيَّأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب"(٨٦)، وقيل: "العقل ضرب من العلوم الضرورية"(٨٧)، قال ابن تيمية: "وكلاهما صحيح؛ فإن العقل في القلب مثل البصر في العين، يراد به الادراك تارةً، ويراد به القوة التي جعلها الله في العين يحصل بها الادراك"(٨٨).

والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة، والنور من الشمس، والرؤية من العين، ولكل فضيلة أسٌّ، ولكل أدب ينبوعٌ، وأسّ الفضائل، وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلًا، وللدنيا عمادًا، فأوجب الدين بكماله، وجعل الدنيا مدبَّرة بأحكامه، وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم، وتباين أغراضهم ومقاصدهم.

وكل هذا يؤكد على أهمية وشرف نعمة التكريم بالعقل، وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة، ومن هنا تظهر أهمية العقل وأهمية العناية به، والحرص على توجيهه وسلامته، والمحافظة عليه، فكلّما كان العقل مصانًا من الانحراف، موجَّهًا توجيهًا صحيحًا، ازداد قوةً ونشاطًا، وإدراكًا وسلامة. وكلما انحرف عن جادة الطريق، تاه وعدل عن الحق، وسخر الإنتاج الإنساني إلى ما يضره، ويضر أفراد المجتمع(٨٩).

وقد نص الله تعالى في غير ما آية على أن من عصاه لا يعقل، قال الله –تعالى– حاكيًا عن قوم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[الملك:١٠]، ثم قال تعالى مصدقًا لهم: ﴿فَٱعۡتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١١](٩٠)، وقال: ﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُوا۟ تَعۡقِلُونَ﴾[يس:٦٢]. وقال –عز وجل–: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ)[الأنفال:٢٢].

ودعامة عمل المرء عقله، فبقدر عقله تكون عبادته لربه، وكلما ازداد الإنسان عقلًا ازداد تذكرًا بكلام الله تعالى، وكلما نقص تذكره بالقرآن دلّ على نقص عقله، والمراد بالعقل المنتفي عنهم في الآيات السابقة هو: عقل الرشد، وليس عقل الإدراك الذي به تقوم الحجة(٩١).

فللعقل السليم بجميع معانيه مكانة عالية في الإسلام ، فقد وردت مادته في القرآن الكريم تسعًا وخمسين مرة(٩٢)، كلها تفيد أن انتفاء العقل مذمَّة، هذا سوى ذكر مرادفاته؛ كالألباب، والأحلام، والحِجْر، وذكر أعماله؛ كالتفكير، والتذكر، والتدبر، والنظر، والاعتبار، والفقه، والعلم؛ فهذه الأعمال العقلية لا تكاد تخلو من ذكرها سورة من كتاب الله تعالى، ويرد ذكرها على أنها أوصاف مدح وكمال للمتصف بها، وأن انتفاءها أو نقصانها مذمَّة شرعيَّة، وهذا يدل دون شك على رفع الإسلام من شأن العقل، وتكريمه له، واحتفائه به، كيف لا، وقد جعله مناطًا للتكليف، وشرطًا لقيام الحجة.

ومما يدل على عناية الإسلام الفائقة بالعقل: محاربته وتحريمه لكل ما من شأنه أن يعطل العقل أو يضعفه؛ كالخمر وما في حكمه، أو يحول بينه وبين أدائه لوظيفته التي خلقه الله –سبحانه وتعالى– من أجلها، كالتقليد الأعمى، واتباع الهوى، والتعصب لغير الحق، كما حرَّم كل ما ينافيه من الأوهام الباطلة والخرافات، كالتشاؤم، والكهانة، والسحر، والشعوذة، وما جرى مجرى ذلك(٩٣).

وقد وردت آيات كريمة تتحدث في مواضع عدة من القرآن عن أهمية العقل، وتكريم الإنسان به، والأمر بالحفاظ عليه من كل ما يمنعه عن دوره الأساسي، ومن ذلك:

١- قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء:٧٠].

سبق الإشارة إلى أن الآية عامة تشمل جميع صور التكريم التي ذكرها المفسرون في تفسيرها، ومن صور التكريم التي قيلت في الآية: تكريمهم بالعقل(٩٤). قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: «فُضِّلوا بالعقل(٩٥) الذي يميز به بين الحسن والقبح»(٩٦).

وقال ابن عطية: «إنما التكريم والتفضيل بالعقل الذي يملك به الحيوان كله، وبه يعرف الله – عز وجل –، ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه»(٩٧).

٢ – قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٨].

٣ – قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[النحل: ٧٨].

عدَّد الله – تعالى – في الآيتين السابقتين بعضًا من نعمه، ومن جملتها : الأفئدة؛ وهي العقول، والحكمة من جعل هذه النعم في الإنسان ليتمكن بها من عبادة ربه، فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه(٩٨).

٤ – قال –تعالى– : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر:١٨].

٥– قال –تعالى–: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[آل عمران:١٩٠-١٩١].

فقد أثنى الله في هذه الآيات على أصحاب العقول السليمة التي أحسن أصحابها استخدامها، فهدهم الله بها إلى الحق، تلك العقول التي تتدبر في خلق الله –تعالى– وعظمته، والغاية منه، وتجول بفكرها في مخلوقاته تتلمس فيها قدرة الخالق وربوبيته لجميع الخلق، وكل ذلك إنما يتم بتوفيق من الله ورضوانه، وإلهام وإحسان من الله على عباده.

ولذا فلا ينبغي للإنسان أن يعطل عقله وفكره فيتساوى مع مخلوقات أدنى منه وأقل، بل عليه أن يستعمله فيما يعود عليه بالنفع والخير والسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث: تكريمه بالبيان

من أوجه تكريم الله – تعالى – للإنسان: تعليمه البيان، وهو: الإعراب عما في الضمير من المقاصد والأغراض، وهو النطق، وبه تميَّز الإنسان عن بقية أنواع الحيوان، ولما كان الإنسان مدنيًّا بطبعه لا يعيش إلا مجتمعًا بسواه؛ كان لا بد له من لغة يتفاهم بها مع من سواه من أبناء جنسه، ويكتب إليه في الأقطار النائية، والبلاد النازحة، ويحفظ علوم السلف، لينتفع بها الخلف، ويزيد فيها اللاحق على ما فعل السابق، وهذه معجزة ربانية، وميزة إنسانية من الكريم جلت حكمته، ونعمة عظمى، ومنَّة روحية كبرى لا تعدلها منة أخرى في هذه الحياة(٩٩).

والبيان بغير النطق من إشارة وإيماء ولمح النظر من مميزات الإنسان أيضًا إلا أنها دون بيان النطق، ومعنى تعليم الله الإنسان البيان: أنه خلق فيه الاستعداد لعلم ذلك، وألهمه وضع اللغة للتعارف(١٠٠).

إن الجانب الآلي في تكوين جهاز النطق لدى الإنسان لأمر عجيب تحار فيه الألباب، ففي اللسان توجد أكثر من تسعة آلاف حليمة ذوقيَّة. وتشترك في العملية الآلية لإخراج الصوت كل من اللسان والشفتين والفك والأسنان والحنجرة والقصبة الهوائية

والشعب، والرئتين. وهذه حلقة من حلقات تلك السلسلة المعقدة لنعمة البيان التي كرم الله – تعالى – بها الإنسان، وما يتعلق بهذه العملية من أدوات، بداية من السمع الأداة الأولى لتلقي البيان، ثم الأعصاب التي تنقل هذه الذبذبات إلى داخل المخ الذي يختزن هذه اللغة، ومن ثم يكون بها البيان، ثم العقل وما يحصل من كل ذلك من علم وفعل كتطبيق عملي للغة البيان في واقع الحياة الإنسانية.

وعجائب صنع الله في النطق وإيجاده وتعليمه وإلهامه للبشر تفوق الحصر والخيال، وتحير الألباب، "فآياته سبحانه في تعليم البيان كآياته في خلق الإنسان:

لولا عجائِبُ صُنْعِ اللهِ ما نَبَتَتْ   تلك الفَضَائِلُ في لحمٍ ولا عَصَبِ[١٠١]

فسبحان من هذا صنعه في هواء يخرج من قصبة الرئة، فينضم في الحلقوم، وينفرش في أقصى الحلق ووسطه وآخره، وأعلاه وأسفله، وعلى وسط اللسان وأطرافه، وبين الثنايا وفي الشفتين والخيشوم، فيسمع له عند كل مقطع من تلك المقاطع صوت غير صوت المقطع المجاور له فإذا هو حرف، فألهم –سبحانه– الإنسان بضمٍّ بعضها إلى بعض فإذا هي كلمات قائمة بأنفسها، ثم ألهمهم تأليف تلك الكلمات بعضها إلى بعض، وإذا هي كلام دال على أنواع المعاني أمرًا ونهيًا، وخبرًا واستخبارًا، ونفيًا وإثباتًا، وإقرارًا وإنكارًا، وتصديقًا وتكذيبًا، وإيجابًا واستحبابًا، وسؤالًا وجوابًا؛ إلى غير ذلك من أنواع الخطاب نظمه ونثره، ووجيزه ومطوله، على اختلاف لغات الخلائق، كل ذلك صنعه – تبارك وتعالى– في هواء مجرد خارج من باطن الإنسان إلى ظاهره في مجار قد هُيِّئت وأُعِدَّت لتقطيعه وتفصيله، ثم تأليفه وتوصيله، فتبارك الله رب العالمين، وأحسن الخالقين، فهذا شأن الحرف المخلوق. وأما الحرف الذي به تكون المخلوقات فشأنه أعلى وأجلّ، وإذا كان هذا شأن الحروف فحقيق أن تُفتتح بها السور كما افتُتِحت بالأقسام، لِمَا فيها من آيات الربوبية، وأدلة الوحدانية، فهي دالة على كمال قدرته سبحانه، وكمال علمه، وكمال حكمته وعنايته بخلقه ولطفه وإحسانه»[١٠٢].

وما الكتب السماوية وعلى رأسها القرآن الكريم وكيف كان الاتصال بين الخالق والخلق بواسطة هذه النعمة إلا مظهرًا من آثار هذا التكريم لهذا الإنسان، والقرآن الكريم مثال حي على ذلك، فإن في سماعه وحفظه وتلاوته تدبره وتطبيقه في واقع الحياة كشفًا واضحًا لمعجزة البيان التي حباها الله تعالى لهذا الإنسان، وبهذه النعمة قامت الخلافة.

وقد أتت نعمة البيان في المرتبة الثالثة في سلسلة التكريم بعد التنويه بخلافته في الأرض والتعليم، قال الله – تعالى – : ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﮔ ﭼ[البقرة: ٣٣]، ولا يكون الإنباء إلا بالبيان، وبه نشأت الحضارة الإنسانية وتطورت، وبلغ الإنسان ما بلغ، وانتقلت المعارف من جيل إلى جيل عبر تاريخ البشرية، وما الكتابة بشتى أنواعها إلا مظهر من مظاهر البيان؛ إذ لو لم تكن لما كانت هناك كتابة ولا حضارة لهذا الكائن، وإنه لمعجزة وأية معجزة، وتكريم وأيما تكريم لولا أن طول الألفة يُنسينا كبر هذه النعمة، وعمق هذه المعجزة، التي أثرت الحياة الإنسانية عبر تاريخها الطويل، وما سيكون من إثراء في نقل المعارف من جيل إلى جيل، ومن لغة إلى لغة من لغات البيان التي كرم الله بها الإنسان[١٠٣].

وقد دل على هذا التكريم بهذه النعمة العظيمة آيات كريمات، منها ما يلي:

١– قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[الإسراء:٧٠].

فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بهذا التكريم هو: النطق[١٠٤].

٢- قال – تعالى – : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ [الرحمن:١- ٤].

تعددت أقوال المفسرين في المراد بالبيان، فذهب ابن زيد إلى أن المراد بالبيان: «الكلام»[١٠٥]. وقال الحسن: يعني: النطق، واستحسنه ابن كثير حيث قال: «وقول الحسن هاهنا أحسن وأقوى؛ لأن السياق في تعليمه – تعالى – القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها»[١٠٦].

والحق أن البيان يشمل الكلام والنطق وغيرهما مما يتم به بيان المراد، قال الضحاك: «علمه البيان: النطق، والكتابة، والخط، والفهم والإفهام، حتى عرف ما يقول، وما يقال له»[١٠٧]. قال ابن جرير: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: أن الله علَّم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام، والمعايش والمنطق، وغير ذلك مما به الحاجة إليه؛ لأن الله – جلّ ثناؤه –لم يخصص بخبره ذلك، أنه علَّمه من البيان بعضًا دون بعض، بل عمّ فقال: ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾، فهو كما عمَّ جلَّ ثناؤه»[١٠٨].

وقال ابن القيم: «والبيان يتناول مراتب ثلاثة كل منها يسمَّى بيانًا، أحدها: البيان الذهني الذي يُمَيّز فيه بين المعلومات، الثاني: البيان اللفظي الذي يعبر به عن تلك المعلومات، ويترجم عنها فيه لغيره. الثالث: البيان الرسمي الخطي الذي يرسم به تلك الألفاظ، فيتبين الناظر معانيها كما يتبين للسامع معاني الألفاظ، فهذا بيان للعين، وذاك بيان للسمع، والأول بيان للقلب، وكثيرًا ما يجمع –سبحانه– بين هذه الثلاثة كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[النحل: ٧٨]، ويذم من عدم الانتفاع بها في اكتساب الهدى والعلم النافع...»[١٠٩].

٣ – قال – تعالى –: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق: ٣- ٥].

قال ابن حزم: «فهذه الآيات جامعة لجميع وجوه البيان الذي امتن به –عزَّ وجلَّ–، على الناطقين من خلقه، وفضلهم به على سائر الحيوان، فضلًا منه –تعالى– يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[١١٠].

٤- قال – تعالى –: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴾ [البلد: ٨ – ٩].

قال ابن عثيمين: «وقوله:﴿ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴾ لسانًا ينطق به، وشفتين يضبط بهما النطق، وهذه من نعم الله العظيمة؛ لأنه بهذا اللسان والشفتين يستطيع أن يعبر عما في نفسه، ولولا هذا ما استطاع، لو كان لا يتكلم فكيف يعبر عما ما في قلبه؟ كيف يعلم الناس بما في نفسه؟ اللهم إلا بإشارة تتعب، يتعب المشير ويتعب الذين أشير إليهم. ولكن من نعمة الله أن جعل له لسانًا ناطقًا، وشفتين يضبط بهما النطق، وهذا من نعمة الله، وهو أيضًا من عجائب قدرته: يأتي النطق من هواء يكون من الرئة يخرج من مخارج معينة،

إن مر بشيء صار حرفًا، وإن مر بشيء آخر صار حرفًا آخر، وهو هواء واحد من مخرج واحد، لكن يمر بشعيرات دقيقة في الحلق، وفي الشفتين، وفي اللثة، هذه الشعرات تكوِّن الحروف...»(١١١).

٥- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾[الأحزاب:٧٠].

ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله – تعالى- عباده المؤمنين بتقواه ، واستعمال نعمة البيان في السديد من القول، وهو القول الموافق للصواب. فعلى الإنسان أن يستجيب لنداء الله – تعالى- ويأخذ بهذه التوجيهات الإلهية والأوامر الربانية، فيتقى الله- تعالى- في السر والعلن، ويستعمل نعمة البيان فيما يرضي الله- تعالى- فيقول قولًا سديدًا صوابًا، كي يظفر بالمثوبة العظمى، والكرامة الكبرى، ﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٧١].

المبحث الرابع: تكريمه بالعلم

أكرم الله –تعالى- الإنسان بالعلم الذي هو أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلبَ وجدَّ فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، وقد قال –تعالى- : ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾[الزمر: ٩] فمنع المساواة بين العالم والجاهل لِمَا قد خُصَّ به العالم من فضيلة العلم. وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٣] فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمرًا، أو يفهم منه زجرًا(١١٢).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ، قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»(١١٣).

وقال ﷺ –مبيِّنًا أن العلماء هم خلفاء الرسول ﷺ في التبليغ عنه- : ((وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ))(١١٤).

وحاجة الناس إلى العلم فوق كل حاجة؛ لأن كمالهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة متوقفة على العلم(١١٥).

قال الإمام أحمد: "الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثًا، والعلم يحتاج إليه في كل وقت(١١٦).

ولذا كان الفرق بين مَن تعلَّم العلم ليحيي به الإسلام، وبين الأنبياء درجة واحدة في الجنة؛ لأن من تعلَّم العلم الذي بعث الله به رسله، وعلَّمه لوجه الله كان صدِّيقًا(١١٧).

وقد شرف الله تبارك وتعالى الإنسان وكرمه حين علمه ما لم يكن يعلم، ونقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم، فكان فضل الله عليه عظيمًا، وما نشاهده اليوم في عصرنا، وما سيشاهده غيرنا في عصور قادمة من تفجر للمعلومات، وتقدم معرفي، ورقيٍّ إنسانيٍّ، إنما هو نتاج هذا العلم الذي علمنا الله إياه، وما كان هذا ليتحقق لولا فضل الله علينا، ورحمته بنا.

وقد دل القرآن الكريم على هذا التكريم بهذه النعمة الجليلة، ومن ذلك ما يلي:

١- قال الله – سبحانه وتعالى -: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[البقرة: ٣١].

دلت الآية الكريمة على تكريم الله - تعالى- لآدم أبي البشر -عليه السلام- بالعلم؛ حيث علّمه أسماء الأشياء، وما هو مسمّى بها، فعلم الاسم والمسمَّى، وهذا التعليم هو مما ميز الله تعالى به آدم -عليه السلام- عن ما سواه، بأن أودع فيه القابلية للتعلم.
قال ابن القيم: «لما أراد إظهار تفضيل آدم وتمييزه وفضله ميَّزه عليهم بالعلم، فعلمه ﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ جاء في التفسير أنهم قالوا: لن يخلق ربنا خلقًا هو أكرم عليه منا، فظنوا أنهم خير وأفضل من الخليفة الذي يجعله الله في الأرض، فلما امتحنهم بعلم ما علمه لهذا الخليفة أقرُّوا بالعجز، وجهل ما لم يعلموه، فقالوا: ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، فحينئذ أظهر لهم فضل آدم بما خصَّه به من العلم، فقال: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣] أقرُّوا له بالفضل»(١١٨).

٢- قال - تعالى - : ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[القلم: ١].
فالآية الكريمة تدل على تكريم الله - عز وجل - للإنسان بالعلم؛ لأن «معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: وما يعلمون » كما قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -(١١٩).
قال السعدي: «يقسم تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام، التي تكتب بها أنواع العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم، وذلك أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة، التي تستحق أن يقسم الله بها، على براءة نبيه محمد ﷺ، مما نسبه إليه أعداؤه من الجنون، فنفى عنه الجنون بنعمة ربه عليه وإحسانه»(١٢٠).

٣- قال - سبحانه -: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: ١- ٥].
دلت الآيات الكريمات على كمال كرم الله -سبحانه- حيث علَّم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على أفضل علم: الكتابة؛ لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دُوِّنتِ العلوم، ولا قُيِّدت الحِكَم، ولا ضُبِطت أخبار الأولين ولا مقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة؛ إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل إلا أمر الخط والقلم لكفى به (١٢١).
فمن كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس (١٢٢).

٤- قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].
دلت الآية على أنه إنما يخشى الله - سبحانه - حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر(١٢٣).

فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته (١٢٤).

وبهذا يتبين أن التكريم بالعلم داع إلى معرفة الله وخشيته، وبه يدرك المخلوق عظمة خالقه، وبه يسعى إلى تحقيق الغاية التي من أجلها خلقه الباري -جلَّ وعلا-، وبه يعرف الحق من الباطل، وبه يهتدي في ظلمات الجهل والشبه والشكوك، وبه تحصل الخيرية، وهو الوسيلة الناجحة للبناء والعلو والارتقاء. عن معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»(١٢٥). دل الحديث على فضل العلماء على سائر الناس، وعلى فضل الفقه في الدين على سائر العلوم؛ لأنه قائد إلى تقوى الله تعالى(١٢٦).

المبحث الخامس: تكريمه بإرسال الرسل

من أعظم وأشرف نعم الله – تبارك وتعالى– التي أنعم بها على البشرية جمعاء: نعمة إرسال الرسل، وإنزال الكتب والشرائع عليهم؛ لهدايتهم وإرشادهم، وتوجيههم وتزكيتهم، وحفظ مصالحهم، وإقامة الحجة عليهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

فالله – تبارك وتعالى– لم يخلق الخلق عبثًا، ولم يتركهم هملًا، بل أرسل إليهم رسله من بني جنسهم تترى، وأنزل عليهم كتبه، فكان من سنة الله تعالى مواترة الرسل وتعميم الخلق بهم، بحيث يبعث في كل أمة رسولًا ليقيم هداه وحجته، كما قال – تعالى–:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال –سبحانه– ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]. فالرسل هم الواسطة بين الله –تعالى– وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، وإرشاد العباد إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم. يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: "فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منَّة عليهم: أن أرسل إليهم رسله؛ وأنزل عليهم كتبه؛ وبيَّن لهم الصراط المستقيم. ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشرّ حالًا منها.."(١٢٧).

فإرسال الرسل، إنعام إلهي، وتكريم رباني في حق المرسَل إليهم، وحق المرسَل نفسه، امتن به الكريم الوهاب عليهم، للبشارة والنذارة، والهداية والسلامة، ولو ترك الناس هملًا دون إنذار وتخويف، لعاشوا عيشة ضنكًا، في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، وعادات منحرفة، وأخلاق فاسدة، القوي فيهم يأكل الضعيف، والشريف فيهم يُذل الوضيع، لذلك اقتضت حكمته – جل وعلا– ورحمته ببني آدم، تكريمهم وتشريفهم: بإرسال الرسل، وإنزال الكتب لإصلاح الإنسان، ولإصلاح المجتمع الإنساني.

وقد دل على هذا آيات كثيرة من القرآن الكريم، ومن ذلك ما يلي:

١- قال – تعالى –: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤].

قال سيد قطب: « إنها المنة العظمى أن يبعث الله فيهم رسولًا، وأن يكون هذا الرسول ﴿ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾، إن العناية من الله الجليل بإرسال رسول من عنده إلى بعض خلقه، هي المنة التي لا تنبثق إلا من فيض الكرم الإلهي، المنة الخالصة التي لا يقابلها شيء من

جانب البشر، وإلا فمن هم هؤلاء الناس، ومن هم هؤلاء الخلق، حتى يـذكرهم الله هـذا الذكر، ويعنى بهم هذه العناية؟ ويبلغ من حفاوة الله بهم، أن يرسل لهم رسولًا مـن عنـده، يحدثهم بآياته -سبحانه- وكلماته، لولا أن كرم الله يفيض بلا حساب، ويغمر خلائقه بـلا سبب منهم ولا مقابل، وتتضاعف المنَّة بأن يكون هـذا الرسـول ﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ لـم يقـل «منهم»، فإن للتعبير القرآني ﴿ مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ ظلالًا عميقة الإيحاء والدلالة. إن الصلة بـين المؤمنين والرسول هي صلة النفس بالنفس، لا صلة الفرد بالجنس.

فليست المسألة أنه واحد منهم وكفى، إنما هي أعمق من ذلك وأرقـى، ثـم إنهـم بالإيمان يرتفعون إلى هذه الصلة بالرسول، ويصلون إلى هذا الأفق من الكرامة على الله، فهو منَّة على المؤمنين، فالمنَّة مضاعفة، ممثلة في إرسال الرسول، وفي وصـل أنفسـهم بنفس الرسول، ونفس الرسول بأنفسهم على هذا النحو الحبيب.

ثم تتجلى هذه المنة العلوية في آثارها العملية، في نفوسـهم وحيـاتهم وتـاريخهم الإنساني: ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾، تتجلـى هـذه المنة في أكبر مجاليها، في تكريم الله لهم بإرسال رسول من عنـده يخـاطبهم بكـلام الله الجليل: ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾، ولو تأمل الإنسان هذه المنة وحدها لراعته وهزته حتى ما يتمالك أن ينصب قامته أمام الله، حتى وهو يقف أمامه للشكر والصلاة، ولو تأمـل أن الله الجليل -سبحانه- يتكرَّم عليه، فيخاطبه بكلماته، يخاطبه ليحدثه عن ذاته الجليلة وصفاته، وليعرفه بحقيقة الألوهية وخصائصها، ثم يخاطبه ليحدثه عن شأنه هو -هو الإنسان- هـو العبد الصغير الضئيل- وعن حياته، وعن خوالجه، وعن حركاته وسكناته، يخاطبه ليدعوه إلى ما يحييه، وليرشده إلى ما يصلح قلبه وحاله، ويهتف به إلى جنة عرضها السـماوات والأرض.

فهل هو إلا الكرم الفائض الذي يجري بهذه المنة، وهذا التفضل، وهذا العطـاء؟ إن الله الجليل غني عن العالمين. وإن الإنسان الضئيل لهو الفقير المحووج، ولكن الجليل هـو الذي يحفل هذا الضئيل، ويتلمسه بعنايته، ويتابعه بدعوته! والغني هو الذي يخاطب الفقير ويدعوه ويكرر دعوته! فيا للكرم! ويا للمنة! ويا للفضل والعطاء الذي لا كفـاء لـه مـن الشكر والوفاء!»(١٢٨).

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية حاجة العباد إلى إرسال الرسل في مواضع شتى من كتبه. فمن ذلك قوله:« والرسالة ضرورية للعباد، لا بدّ لهم منها، وحاجتهم إليها فـوق حاجتهم إلى كل شيء. والرسالة روح العالم، ونوره، وحياته. فأي صلاح للعالم إذا عُـدم الروح والحياة والنور، والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسـالة. وكـذلك العبد ما لم تُشرق في قلبه شمس الرسالة، وينالـه من حياتها وروحها، فهو في ظلمة، وهو من الأموات. قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ ﴾[الأنعام:١٢٢]. فهذا وصف المؤمن، كان ميتًـا فـي ظلمـة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورًا يمشي به في الناس. وأمـا الكافر فميّت القلب في الظلمات»(١٢٩).

وقال أيضاً:« وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك، وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال. فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده...»(١٣٠).

٢- قال -تعالى-: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ [فاطر:٢٤].

٣- قال- تعالى-: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾[النساء:١٦٥].

فقد جرت سنة الله -تبارك وتعالى- أن لا يعذّب أحدًا حتى يُقيم عليه الحجة، ولما كان العقل البشري لا يتمكن من عبادة الله – تعالى – على الوجه الذي يحبه ويرضاه، كان من حكمة الله – جلّ وعلا- ، وتكريمه وتشريفه لبني آدم؛ أن أرسل إليهم الرسل الكرام، وأنزل عليهم الكتب العظام؛ لإصلاح الخلق، وإقامة الحجة عليهم؛ حتى لا يحتج أحد على الله بعد الرسل، فيقول: ما جاءني من بشير ولا نذير، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [المائدة:١٩].

٤- قال – تعالى –: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[الأعراف: ٣٥].

فقد دلت الآية الكريمة على بيان ما أعده الله -تعالى- لحزبه وأهل طاعته والإيمان به وبرسله، وفضل من استجاب للرسل- عليهم الصلاة والسلام-، وأطاعهم، وخسارة من لم يستجب لهم، وفي هذا تشريف وتكريم للرسل والمرسَل إليهم.

وبهذا يتبين أن بعثة الرسل فضل منه -جلَّ وعلا-، ومنَّة يمتن بها على عباده، وتكريم وتشريف لبني آدم، لصلاح قلوبهم، وإنارة نفوسهم، وهداية عقولهم، كي يعرفوا وجهتهم في الحياة، وعلاقتهم بالحياة، وخالق الحياة، ولكيلا ينحرفوا أو يزيغوا عن الصراط المستقيم.

المبحث السادس: تكريمه بشريعة الإسلام

أعظم وأشرف أوجه تكريم الله -سبحانه وتعالى – للإنسان: تكريمه بشريعة الإسلام النقية المطهرة، التي بعث بها نبيه محمدًا – عليه الصلاة والسلام – إلى كافة الناس.

فنعمة الإسلام أعظم نعم الله -تبارك وتعالى- التي أنعم بها على عباده، وأكرمهم بها، فما أنعم عليهم بنعمة أجلّ من أن هداهم لها، وجعلهم من أهلها، وممن ارتضاهم لها، تظهر آثارها عند معرفة أحوال الناس قبل الإسلام، حيث كانوا كما وصف الله ﴿لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[آل عمران:١٦٤]. بهذه الصيغة المطلقة، ليؤكد على ضلالهم المطلق البين، وأنهم بلغوا فيه المنتهى، ضلال في جميع النواحي والمجالات، ضلالة عمياء، وجاهلية جهلاء،

إلى أن جاء الله –تعالى– بالإسلام، فأنقذ به الناس، وانتشلهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

جاء الله – تعالى – بالإسلام هداية للعالمين أجمعين، ورحمة للناس كافة، وتكريمًا وتشريفًا لبني آدم، لا يختص بجنس من البشر، ولا بجزء من الأرض، بل هو للإنسان من حيث هو إنسان، للذكر والأنثى، والأبيض والأسود، والعربي والأعجمي، والغني والفقير، فلا عصبية ولا عنصرية ولا طبقية ولا مذهبية في دين الإسلام، بل الناس فيه سواء في الحقوق والواجبات والتكاليف، يؤمنون بربهم، ويصدقون بنبيهم، ويعتزون بدينهم، ويشعرون بكرامتهم، ويثقون بحقهم في حياة آمنة كريمة عادلة، لا سلطان فيها لغير الحق، ولا استعلاء لغير الشرع، ولا فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[الحجرات: ١٣].

كما جاءت هذه الشريعة الإسلامية السمحة بما فيه صلاح الناس وإصلاحهم، وتميزت باليسر والسماحة، وتقدير المصالح، ودفع المضار(١٣١).

وهي عدل الله – تعالى – بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه(١٣٢)، وتمثل ثوابت الأمة، وكيان الأمة أصلًا مبني على إقامة الشريعة الإسلامية، وبدونها تضيع هويتها وتسلب مكانتها وتتهاوى هيبتها(١٣٣).

فالإسلام دين الله العظيم، دين كامل شامل، دين نسبه الله – تعالى – إلى نفسه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾[آل عمران: ١٩]. وأمر نبيه بالحكم به واتباعه، ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[الجاثية: ١٨]. وأكمله لخلقه ورضيه لهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣]. لا يقبل التدين بغيره، ولا يرضى بسواه، ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وأمر من يتبعه أن يكون ولاؤه كله لله، وعمله كله لله، وحياته ومماته كلها لله، ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[الأنعام: ١٦٢– ١٦٣].

والقرآن الكريم مليء بالآيات الدالة على فضل الإسلام وشرفه عند الله – تعالى– وتكريم الإنسان به، منها ما سبق ذكره، ومنها ما يلي:

١- قال –تعالى-: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

قال سيد قطب: « والعرب الذين كانوا يخاطبون بهذه الآية كانوا يذكرون -ولا شك- ماضي حياتهم وأوضاعهم، ويعرفون طبيعة النقلة التي نقلهم إليها الإسلام، وما كانوا ببالغيها بغير الإسلام، وهي نقلة غير معهودة في تاريخ بني الإنسان...، كانوا يدركون أن الإسلام -والإسلام وحده- هو الذي منحهم وجودهم القومي، ووجودهم السياسي، ووجودهم الدولي، وقبل كل شيء وأهم من كل شيء، وجودهم الإنساني، الذي يرفع إنسانيتهم، ويكرم آدميتهم، ويقيم نظام حياتهم كله على أساس هذا التكريم، الذي جاءهم هدية ومنة من لدن ربهم الكريم. والذي أفاضوه هم على البشرية كلها بعد ذلك، وعلموها كيف تحترم الإنسان وتكرمه بتكريم الله. غير مسبوقين في هذا، لا في الجزيرة العربية، ولا في أي مكان.

وكانوا يدركون أن الإسلام -والإسلام وحده- هو الذي جعل لهم رسالة يقدمونها للعالم، ونظرية للحياة البشرية، ومذهبًا مميزًا للحياة الإنسانية، والأمة لا توجد في الحقل الإنساني الكبير إلا برسالة ونظرية ومذهب، تقدمه للبشرية، لتدفع بالبشرية إلى الأمام.

وقد كان الإسلام، وتصوره للوجود، ورأيه في الحياة، وشريعته للمجتمع، وتنظيمه للحياة البشرية، ومنهجه المثالي الواقعي الإيجابي لإقامة نظام يسعد في ظله الإنسان،كان الإسلام بخصائصه هذه هو بطاقة الشخصية التي تقدم بها العرب للعالم، فعرفهم، واحترمهم، وسلمهم القيادة.

وهم اليوم وغدًا لا يحملون إلا هذه البطاقة. ليست لهم رسالة غيرها يتعرفون بها إلى العالم. وهم إمَّا أن يحملوها فتعرفهم البشرية وتكرمهم، وإمَّا أن ينبذوها فيعودوا هملًا -كما كانوا- لا يعرفهم أحد، ولا يعترف بهم أحد! وما الذي يقدمونه للبشرية حين لا يتقدمون إليها بهذه الرسالة؟»(١٣٤).

٢ - قال-تعالى- : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٣].

فيأمر الله تعالى في هذه الآية بتذكر نعمه، وأعظمها الإسلام، واتباع نبيه محمد عليه السلام، فإن به زالت العداوة والفُرقة، وكانت المحبة والألفة. والمراد بالآية الأوس والخزرج، والآية تعم. ومعنى ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾أي:صرتم بنعمة الإسلام إخوانًا في الدين (١٣٥)

وفي هذه الآية ما يدل على أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم؛ ليزدادوا شكرًا له ومحبة، وليزيدهم من فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه: نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول ﷺ، واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها (١٣٦).

٣- قال -تعالى- : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

إن ارتضاء الله الإسلام دينًا لهذه الأمة ليقتضي منها ابتداء أن تدرك قيمة هذا الاختيار. ثم تحرص على الاستقامة على هذا الدين جهد ما في الطاقة من وسع واقتدار. وإلا فما أنكد وما أحمق من يهمل -بله أن يرفض- ما رضيه الله له، ليختار لنفسه غير ما

ختاره الله! وإنها -إذن- لجريمة نكدة لا تذهب بغير جزاء، ولا يترك صاحبها يمضي ناجيًا أبدًا وقد رفض ما ارتضاه له الله (١٣٧).

المبحث السابع: تكريمه بتسخير سائر الخلق له

من أسمى أوجه تكريم الله – سبحانه تعالى – للإنسان: تسخير سائر الخلق له؛ لأن الإنسان هو المقصود من العالم، وإيجاد ما عداه لأجله، وقد جعل الله تعالى الإنسان سلالة العالم وزبدته، وهو المخصوص بالكرامة، وما سواه كالمعونة له، كما قال تعالى في معرض الامتنان: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[البقرة: ٢٩] ، وأباح الله جميع ما في العالم للإنسان كما نبه الله عليه بقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[الأعراف:٣٢]. فللإنسان أن ينتفع بكل ما في العالم على وجهه، إما في غذائه، أو في دوائه، أو في ملابسه ومشموماته ومركوباته، وزينته والالتذاذ بصورته، أو رؤيته والاعتبار به(١٣٨). وخطة الإسلام التي رسمها الله للناس محتوية على فسح مجالات التقدم المادي الحضاري الخيِّر، الذي لا إثم فيه، ولا ضرر يكون منه، ولا شر يخالطه، وإعلان تسخير ما في السماوات وما في الأرض جميعًا للإنسان يتضمن بشكل قوي الدفع البالغ للعمل الصناعي، للانتفاع من هذه المسخرات؛ لأنه لا يستطاع الانتفاع بكل هذه المسخرات الكبرى ما لم تدخل فيها يد العمل، بالجَنْي، أو بالاستنتاج، أو بالتعمير، أو بالتصنيع، أو بالتحليل والتركيب والجمع والتفريق، والاختبار والتجربة، والتخيل، والاستنباط، والاختراع والابتكار (١٣٩).

فمن فضل الله تبارك وتعالى وإحسانه وامتنانه على الإنسان تسخير ما في السموات وما في الأرض لخدمته، وتسهيل عيشه، وتوفير حاجاته، وتحقيق الهناء والرخاء له، حتى يتمكن من أداء دوره، والقيام بوظيفته، وتحقيق الغاية التي من أجلها خُلِق.

والتسخير: حقيقته التذليل والتطويع، وهو مجاز في جعل الشيء قابلًا لتصرف غيره فيه، وهو: تسهيل الانتفاع بدون مانع، وهو يؤذن بصعوبة الانتفاع لولا ذلك التسخير، وأصله: تسهيل الانتفاع بما فيه إرادة التمنع، مثل تسخير الخادم، وتسهيل استخدام الحيوان الداجن من الخيل، والإبل، والبقر، والغنم ونحوها، بأن جعل الله فيها طبع الخوف من الإنسان مع تهيئتها للإلف بالإنسان، ثم أطلق على تسهيل الانتفاع بما في طبعه أو في حاله ما يعذر الانتفاع به لولا ما ألهم الله إليه الإنسان من وسائل التغلب عليها بتعرف نواميسه وأحواله وحركاته وأوقات ظهوره، وبالاحتيال على تملكه، مثل صيد الوحش، ومغاصات اللؤلؤ والمرجان، ومثل آلات الحفر والنقر للمعادن، ومثل التشكيل في صنع الفلك والعجل، ومثل التركيب والتصهير في صنع البواخر والمزجيات والصياغة، ومثل الإرشاد إلى ضبط أحوال المخلوقات العظيمة من الشمس والقمر والكواكب والأنهار والأودية والأنواء والليل والنهار، باعتبار كون تلك الأحوال تظهر على وجه الأرض، وما لا يحصى مما ينتفع به الإنسان مما على الأرض، فكل ذلك داخل في معنى التسخير (١٤٠).

وقد دل على هذا التكريم بهذه النعمة العظيمة آيات من القرآن، ومنها ما يلي:

١ – قال الله – تعالى- : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء:٧٠].

ذكر بعض المفسرين أن من أوجه التكريم في الآية: تسخير سائر الخلق لبني آدم(١٤١).

٢ – قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[إبراهيم: ٣٢ – ٣٤].

٣ – وقال –تعالى– : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[النحل: ١٤].

٤ – وقال –تعالى– : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ ﴾ [لقمان:٢٠].

٥ – وقال –تعالى– : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الجاثية: ١٢ – ١٣].

يخبر تعالى بفضله على عباده وإحسانه إليهم بتسخير البحر لسير المراكب والسفن بأمره وتيسيره، ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ بأنواع التجارات والمكاسب، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الله تعالى، فإنكم إذا شكرتموه زادكم من نعمه، وأثابكم على شكركم أجرًا جزيلًا. ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ ﴾ أي: من فضله وإحسانه، وهذا شامل لأجرام السماوات والأرض ولما أودع الله فيهما من الشمس والقمر والكواكب والثوابت والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار والثمرات وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراته، فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته، وأن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته وحكمه، ولهذا قال: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وجملة ذلك أن خلقها وتدبيرها وتسخيرها دال على نفوذ مشيئة الله، وكمال قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنعة وحسن الخلقة دال على كمال حكمته وعلمه، وما فيها من السعة والعظمة والكثرة دال على سعة ملكه وسلطانه، وما فيها من التخصيصات والأشياء المتضادات دليل على أنه الفعال لما يريد، وما فيها من المنافع والمصالح الدينية والدنيوية دليل على سعة رحمته، وشمول فضله وإحسانه وبديع لطفه وبره، وكل ذلك دال على أنه وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل

والمحبة إلا له، وأن رسله صادقون فيما جاءوا به، فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريبًا ولا شكًا [١٤٢].

وقال سيد قطب: «إن الأرض كلها لا تبلغ أن تكون ذرة صغيرة في بناء الكون، والإنسان في هذه الأرض خليقة صغيرة هزيلة ضعيفة بالقياس إلى حجم هذه الأرض، وبالقياس إلى ما فيها من قوى ومن خلائق حية وغير حية، لا يعد الإنسان من ناحية حجمه ووزنه وقدرته المادية شيئًا إلى جوارها. ولكن فضل الله على هذا الإنسان ونفخته فيه من روحه، وتكريمه له على كثير من خلقه، هذا الفضل وحده قد اقتضى أن يكون لهذا المخلوق وزن في نظام الكون وحساب، وأن يهيئ الله له القدرة على استخدام الكثير من طاقات هذا الكون وقواه، ومن ذخائره وخيراته. وهذا هو التسخير المشار إليه في الآية..، وقد سخر الله لهذا المخلوق الإنساني ما في السماوات، فجعل في مقدوره الانتفاع بشعاع الشمس ونور القمر وهدي النجوم، وبالمطر والهواء والطير السابح فيه، وسخر له ما في الأرض، وهذا أظهر وأيسر ملاحظة وتدبرًا، فقد أقامه خليفة في هذا الملك الطويل العريض، ومكّنه من كل ما تذخر به الأرض من كنوز. ومنه ما هو ظاهر ومنه ما هو مستتر، ومنه ما يعرفه الإنسان ومنه ما لا يدرك إلا آثاره، ومنه ما لم يعرفه أصلًا من أسرار القوى التي ينتفع بها دون أن يدري، وإنه لمغمور في كل لحظة من لحظات الليل والنهار بنعمة الله السابغة الوافرة التي لا يدرك مداها، ولا يحصي أنماطها، ومع هذا كله فإن فريقًا من الناس لا يشكرون ولا يذكرون ولا يتدبرون ما حولهم، ولا يوقنون بالمنعم المتفضل الكريم»[١٤٣].

المبحث الثامن: تكريمه بالنعم الظاهرة والباطنة

تكريم الله تعالى للإنسان شامل، ونعمه سابغة، ظاهرة وباطنة، بدءًا بخلقه في أحسن صورة، مودعًا بين جوانب نفسه وثنايا قلبه وجسده أسرار الخلق، وعظمة التّكوين، ودِقة الإبداع، وآيات الإعجاز، ودلائل القدرة..، ومرورًا بتخصيصه بالعقل، وتعليمه البيان والعلم، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وبشريعة الإسلام، وتسخير سائر الخلق له، وأخيرًا –وليس آخرًا– تكريم الله تعالى للإنسان: بالنعم الظاهرة والباطنة، والنعم الظاهرة هي: ما يعرفها الإنسان، ويلمسها بحواسه، أو يدركها بعقله، ويعرفها من يتعرفه. والنعم الباطنة: هي ما لا يعلمه الإنسان من أسرار هذا الوجود الذي يعيش فيه[١٤٤].

والحكمة من جعل هذا الوجه من التكريم في الختام هي أن جميع ما ذُكر من أوجه التكريم عبارة عن أمثلة فقط، وليست للحصر؛ لأنه يتضح من تعريف النعم الظاهرة والباطنة أن هذا الوجه من التكريم عام يشمل جميع ما ذُكر من أوجه التكريم وما لم يُذكر –وهو كثير جدًّا– مما لا يعلمه الإنسان من أسرار هذا الوجود الذي يعيش فيه.

وتكريم الله للإنسان ليس له حصر ولا عدّ، حيث عمّ الكريمُ الإنسانَ بأنواع شتى من تكريمه، وغمره بنعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم بها؛ والتي تخفى علينا، قال ابن عاشور: «فكم في بدن الإنسان وأحواله من نعم يعلمها الناس، أو لا يعلمها بعضهم، أو لا يعلمها إلا العلماء، أو لا يعلمها أهل عصر ثم تتكشف لمن بعدهم، وكلا النوعين أصناف دينية ودنيوية»[١٤٥].

وقد دل على التكريم بالنعم الظاهرة والباطنة آيات كثيرة من كتاب الله، ومن ذلك ما يلي:

١– قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ

ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾[لقمان: ٢٠].

قال الضحاك: سألت ابن عباس عن قول الله – عزّ وجلّ- : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾، فقال: هذا من محرزي الذي سألت رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ قال: «أمّا الظاهرة: فالإسلام وما حسن من خلقك، وما أفضل عليك من الرزق، وأمّا الباطنة: ما ستر من سوء عملك...»(١٤٦).

ففي هذه الآية يقول –تعالى- منبهًا خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة، بأنه سخَّر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد، وجعله إيّاها لهم سقفًا محفوظًا، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم بها؛ والتي تخفى علينا، نعم الدنيا، ونعم الدين، حصول المنافع، ودفع المضار، فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم؛ بمحبة المنعم والخضوع له؛ وصرفها في الاستعانة على طاعته، وأن لا يستعان بشيء منها على معصيته (١٤٧).

٢- قال – تعالى – : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

٣-قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨].

قال الرازي: «النعم إمَّا دينية وإمَّا دنيوية، أمَّا النعم الدينية فهي: إمّا معرفة الحق لذاته، وإمّا معرفة الخير لأجل العمل به، وأما النعم الدنيوية فهي: إمَّا نفسانيّة، وإمَّا بدنيّة، وإمَّا خارجيّة، وكل واحد من هذه الثلاثة جنس تحته أنواع خارجة عن الحصر والتحديد، كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾»(١٤٨).

وقال أيضًا: «واعلم أن الإنسان إذا أراد أن يعرف أن الوقوف على أقسام نعم الله ممتنع، فعليه أن يتأمل في شيء واحد ليعرف عجز نفسه عنه، ونحن نذكر منه مثالين:

المثال الأول: أن الأطباء ذكروا أن الأعصاب قسمان، منها دماغية ومنها نخاعية. أما الدماغية فإنها سبعة، ثم أتعبوا أنفسهم في معرفة الحكم الناشئة من كل واحد من تلك الأرواح السبعة، ثم مما لا شك فيه أن كل واحد من الأرواح السبعة تنقسم إلى شعب كثيرة، وكل واحد من تلك الشعب أيضًا إلى شعب دقيقة أدق من الشعر، ولكل واحد منها ممر إلى الأعضاء، ولو أن شعبة واحدة اختلت إمَّا بسبب الكمِّية أو بسبب الكيفية أو بسبب الوضع لاختلت مصالح البنية، ثم إن تلك الشعب الدقيقة تكون كثيرة العدد جدًّا، ولكل واحدة منها حكمة مخصوصة، فإذا نظر الإنسان في هذا المعنى عرف أن الله تعالى بحسب كل شظية من تلك الشظايا العصبية على العبد نعمة عظيمة لو فاتت لعظم الضرر عليه، وعرف قطعًا أنه لا سبيل له إلى الوقوف عليها والاطلاع على أحوالها، وعند هذا يقطع بصحة قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾. وكما اعتبرت هذا في الشظايا العصبية فاعتبر مثله في الشرايين والأوردة، وفي كل واحد من الأعضاء البسيطة والمركبة بحسب الكمية والكيفية والوضع والفعل والانفعال حتى ترى أقسام هذا الباب بحرًا لا ساحل له، وإذا اعتبرت هذا في بدن الإنسان الواحد فاعرف أقسام نعم الله تعالى في نفسه وروحه، فإن عجائب عالم الأرواح أكثر من عجائب عالم الأجساد، ثم لما

اعتبرت حالة الحيوان الواحد فعند ذلك اعتبر أحوال عالم الأفلاك والكواكب وطبقات العناصر وعجائب البر والبحر والنبات والحيوان، وعند هذا تعرف أن عقول جميع الخلائق لو ركبت وجعلت عقلًا واحدًا ثم بذلك العقل يتأمل الإنسان في عجائب حكمة الله تعالى في أقل الأشياء لما أدرك منها إلا القليل، فسبحانه تقدس عن أوهام المتوهمين.

المثال الثاني: أنك إذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، أما الأمور التي قبلها: فاعرف أن تلك اللقمة من الخبز لا تتم ولا تكمل إلا إذا كان هذا العالم بكليته قائمًا على الوجه الأصوب، لأن الحنطة لا بد منها، وأنها لا تنبت إلا معونة الفصول الأربعة، وتركيب الطبائع وظهور الرياح والأمطار، ولا يحصل شيء منها إلا بعد دوران الأفلاك، واتصال بعض الكواكب ببعض على وجوه مخصوصة في الحركات، وفي كيفيتها في الجهة والسرعة والبطء، ثم بعد أن تكون الحنطة لا بد من آلات الطحن والخبز، وهي لا تحصل إلا عند تولد الحديد في أرحام الجبال، ثم إن الآلات الحديدية لا يمكن إصلاحها إلا بآلات أخرى حديدية سابقة عليها، ولا بد من انتهائها إلى آلة حديدية هي أول هذه الآلات، فتأمل أنها كيف تكونت على الأشكال المخصوصة، ثم إذا حصلت تلك الآلات فانظر أنه لا بد من اجتماع العناصر الأربعة، وهي الأرض والماء والهواء والنار حتى يمكن طبخ الخبز من ذلك الدقيق. فهذا هو النظر فيما تقدم على حصول هذه اللقمة. وأما النظر فيما بعد حصولها: فتأمل في تركيب بدن الحيوان، وهو أنه تعالى كيف خلق الأبدان حتى يمكنها الانتفاع بتلك اللقمة، وأنه كيف يتضرر الحيوان بالأكل وفي أي الأعضاء تحدث تلك المضار، ولا يمكنك أن تعرف القليل من هذه الأشياء إلا بمعرفة علم التشريح وعلم الطب بالكلية، فظهر بما ذكرنا أن الانتفاع باللقمة الواحدة لا يمكن معرفته إلا بمعرفة جملة الأمور، والعقول قاصرة عن إدراك ذرة من هذه المباحث، فظهر بهذا البرهان القاهر صحة قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾»(١٤٩).

الخاتمة

في نهاية البحث يحسن أن أجمل للقارئ الكريم أهم النتائج التي توصَّل إليها البحث:

١ - المتأمل للقرآن يجد أنه قد عُنِي بالإنسان أيما عناية، كما عُني القرآن بالتكريم الرباني له في آيات كثيرة، عرض لنا من خلالها أوجهًا متعددة وصورًا متنوعة عن تكريم الله تعالى للإنسان غاية التكريم، تحقيقًا لإنسانيته، وحفظًا لكرامته، وتأكيدًا لخلافته.

٢- الإنسان مخلوق ضعيف إلا أنه مع هذا الضعف كائن عجيب، ومخلوق مكرَّم، وصفوة العالم وزبدته، ودُرَّة الكون وثمرته، وحجر زاويته، وبيت القصيد من مقصوده.

٣- الإنسان مظهر من مظاهر قدرة الله تبارك وتعالى، وتجلي عظمته، وتشكيلات جسم الإنسان تنطوي على عجائب لا يحيط بها وبأسرارها إلا خالقها، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾؟! [الذاريات: ٢١].

٤- أراد الله سبحانه تفضيل بني آدم على غيرهم حين خلق أباهم آدم بيديه، ونفخ فيه من روحه، ووكل إليه وإلى ذريته عمارتها، وألبسهم خُلَع الكرامة كلّها؛ من العقل والبيان والصورة الحسنة، وغير ذلك؛ تسهيلًا لأمورهم، وإعانة لأداء وظيفتهم في الحياة.

٥- لا يوجد دين كرَّم بني الإنسان مثلما كرّمهم الإسلام على اختلاف أجناسهم.

٦- جاء الإسلام بتشريعاته السمحة ليرسّخ في الإنسان كرامته ليقوِّيَ تمسَّكه بها؛ لأنها جوهرُ إنسانيَّته وأسّ ذاتيَّته؛ حتى يعمر الأرض، وليعبد اللّه وحده لا يشرك به شيئًا.

٧- التَّكْريم يأتي بمعان كثيرة، منها: التفضيل والتشريف والاحترام والإكثار في الإكرام.
٨- إذا أطلق الكَرَم على الله فيكون اسمًا لإحسانه، وإذا وُصِف به الإنسان فهو اسم للأخلاق المحمودة. ولا يقال (الكرم) إلا في الأمور الكبيرة كالإنفاق في تجهيز جيش الغُزَاة.
٩- هناك فرق بين (كَرَّمَ وأكْرَمَ) من حيث اللفظ والمبنى والمعنى ، فالتَّكْريم أبلغ وأدوم وأعم من الإكرام ، ولذا جاء تعبير الآية به: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[الإسراء:٧٠].
١٠- من أسماء الله الحسنى: الكريم، ومعناه: الْمُكرم الْمُنعم المتفضل، فهو الكريم، ومنه الكرم، وهو أكرم الأكرمين، شمل الكائنات بأسرها ببره وهباته. فضله وكرمه لا حد له.
١١- تكريم الإنسان من كرم الله تعالى وإحسانه الذي لا يقادر قدره، حيث كرَّم الإنسان بجميع وجوه الإكرام، فله كل كمال وصفًا، ومنه كل خير فعلًا.
١٢- وصف الله جل وعلا نفسه بالكرم والتكريم عند خلقه للإنسان، وعند تربيته له، وفي آخر أحواله، وهذا يدل على أنه لا نهاية لكرمه تعالى وفضله وإحسانه مع الإنسان.
١٣- لم يرد (الكرم) و(التكريم) في القرآن، وإنما وردت مشتقاتهما في آيات كثيرة.
١٤- معاني (الكريم) ومشتقاته في القرآن جاءت على عدة أوجه، أوصلها بعضهم إلى (١٢) وجهًا، منها: الفضل والشرف والصفوح وغيرها، ويمكن إرجاع هذه الأوجه إلى المعنى الأصلي للكرم وهو: الشرف والفضل، فكل شيء يَشرف في بابه يوصف بالكريم.
١٥- الدلالة القرآنية للكرامة تنبع من التشريف والتفضيل، ويرد ذلك في سياق التذكير بفضل اللّه ونعمته على العالمين، ووردت في القرآن هذه الدلالة في سبع آيات تنبني على الفعلين: (كرَّم) و(أكرم)، بينما تكررت صفة (الكريم) (٢٣) مرة، ووردت بصيغة النعت ثلاث مرات، وبصيغة الجمع ثلاث مرات، وبصيغة التفضيل مرتين، وبصيغة المصدر (الإكرام) مرتين، وبصيغة اسم المفعول ثماني مرات.
١٦- تكريم الله للإنسان شامل لبني آدم جميعًا باعتبار إنسانيتهم ، دون النظر إلى الديانة والجنس والعنصر، فهي كرامة ربانية شاملة لجميع أفراد البشر على حد سواء.
١٧- المساواة بين الناس في القيمة الإنسانية لا تنافي التفاضل بينهم فيما يملكونه ويستطيعون القيام به من التقوى والإيمان، ولهذا فُضل المسلم على الكافر بإسلامه.
١٨- المرأة في الإسلام متساوية مع الرجل في القيمة الإنسانية، والنسب البشري، والكرامة الإلهية، والأهلية لتلقي التكليف الإلهي، وفي القيم المدنية، والحقوق الاجتماعية.
١٩- هناك أحكام تختلف فيها المرأة عن الرجل في الشريعة الإسلامية، ومستثناة في المساواة ؛ نظرًا لطبيعة تكوين المرأة، ودور كل من الرجل والمرأة في الحياة.
٢٠- كرَّم الله تعالى الإنسان بأوجه التكريم التي لا حصر لها؛ ليتمكن بها من عبادة ربه، والقيام بحقه، فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة ونعمة على طاعة مولاه.
٢١- الواجبات المتعلقة بالتكريم هي: الواجب القلبي وهو شكر القلب. والقولي وهو شكر اللسان. والعملي وهو: شكر الجوارح، ولا يكون العبد شكورًا إلا بمجموعها.
٢٢- دل القرآن الكريم على أن الله تعالى كرَّم الإنسان بأوجه عديدة لا حصر لها، وأنعم عليه بخصائص ترقى به إلى أعلى الدرجات، ومن أهم هذه الخصائص:

أ – تكريمه بتحسين خَلْقه، حيث خلقه في أحسن تقويم، ولم يخلق حيوانًا أحسن صورةً منه، صورة تليق بآدميته، وبالتكريم الذي حظي به من خالقه الكريم.
ب- تكريمه بالعقل المميز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر.
ج- تكريمه بأنواع البيان: البيان الذهني، واللفظي، والرسمي الخطي.
د- تكريمه بالعلم والمعرفة، وتعليمه ما لم يكن يعلم، ونقله من الظلمات إلى النور.
هـ- تكريمه بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لإرشاده وإصلاحه وحفظ مصالحه.
و- تكريمه بالإسلام الذي هو أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وأكرمه بها. لا تختص بجنس من البشر، ولا بجزء من الأرض، بل هي للإنسان من حيث هو إنسان.
ز- تكريمه بتسخير سائر الخلق له؛ لخدمته، وتسهيل عيشه، وتوفير حاجاته.
ح- تكريمه بالنعم الظاهرة والباطنة التي يُعلم بها، والتي تخفى عليه، نعم الدنيا، ونعم الدين، حصول المنافع، ودفع المضار.

أسأل الله – تعالى – بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يبارك فيه ، وينفع به الجميع، وأن يحسن عاقبتي في الأمور كلها، إنه ولي التوفيق، وهو نعم المولى، ونعم النصير، ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا. **والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.**

Abstract

Honoring man in the light of the Qur'an

By Badr bin Ali bin Mohammed

The aim of the research is to show the relationship of climate to the planning of the outer spaces of the residential buildings in the city of Samawa and the impact of that relationship. These spaces took two types of planning: the pattern of the old buildings and the open style in the modern buildings, each of them different from the other in terms of planning, Which resulted in different effects on climate elements The study revealed through the standardization of the site of a clear contrast in the impact of these spaces in the elements of the climate in the city of Samawa when using the standard THI It became clear that the spaces of the old buildings represented by the narrow and partly shaded alleys are closer to the human comfort of human beings than the spaces of the modern buildings represented by the wide streets and the outer spaces of the harmonious pattern are more suitable for the climatic type of the open in the autumn and spring during the morning mornings. However, in the winter period, both were kept away from the comfort limits of the morning chart, as THI recorded less than (١٥)But they have become within the limits of rest during the evening. The study showed the departure of old and modern spaces from the limits of rest in the summer period and the morning and evening observations because they recorded the value of (THI) more than (٢٠)And are closer in the morning in the evening but in all cases are closer in the outer spaces of the old buildings of the spaces of modern buildings, but the impact of the wind, the spaces of the pattern are within or close to the limits of comfort in most of the morning and evening observations during the four seasons.

الهوامش

(١) قال ابن القيم في طريق الهجرتين (ص: ١٠٨) بعد أن ذكر بعض الأقوال في تفسير الآية: "والصواب أن ضعفه يعم هذا كله، وضعفه أعظم من هذا وأكثر: فإنه ضعيف البنية، ضعيف القوة، ضعيف الإرادة، ضعيف العلم ضعيف الصبر، والآفات إليه مع هذا الضعف أسرع من السيل في الحدور".

(٢) انظر: جامع البيان (١٥/ ٥)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٢)، وبحر العلوم(٢/ ٣٢١)، والكشف والبيان =

= (٦/ ١١٤- ١١٥)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٢٦٣)، وتفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب (ص: ٤٥- ٥٣)، وإرشاد العقل السليم (٥/ ١٨٦).

(٣) انظر: الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية (ص: ٩ – ١٠).

(٤) تكررت كلمة (الإنسان) في القرآن (٦٥) مرة، و(أناس) خمس مرات. و(الناس) (٢٤١) مرة. و(بشر) (٣٦) مرة. انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص: ١١٩- ١٢٠، ٨٩٥ – ٨٩٦ ، ١٥٣).

(٥) مثل: (حقوق الإنسان في الإسلام) للدكتور عبد اللطيف بن سعيد الغامدي (ص: ٦٣- ٧٧)، و(المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في ضوء القرآن الكريم) للدكتور يحيى بن محمد زمزمي (ص: ٣٥- ٣٧)، و(حقوق الإنسان محور المقاصد الشرعية) لمجموعة من الباحثين (ص: ٤٢- ٤٥).

(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٧١- ١٧٢)، (كرم). وانظر: العين (٥/ ٣٦٨)، وتهذيب اللغة (١٠/

١٣٢)، والصحاح (٥/ ٢٠٢٠) كلهم في (كرم).

(٧) انظر: العين (٥/ ٣٦٨)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٩٨)، والصحاح (٥/ ٢٠١٩)، وأساس البلاغة (٢/ ١٣٢)، ولسان العرب(١٢/ ٥١٠)، وبصائر ذوي التمييز(٤/ ٣٤٣)، والمعجم الوسيط(٢/ ٧٨٤) كلهم في(كرم).

(٨) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٦٩).

(٩) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٦٦)، ولسان العرب (١٢/ ٥١٠)، كلاهما في (كرم).

(١٠) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٧٠٧)، وبصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٤٣ – ٣٤٤).

(١١) انظر في هذا: معجم ديوان الأدب (٢/ ٣٣٨)، وشرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي (٢٤٩/١ – ٢٥١)، وفتح الباري (٨/ ٣٩٣)، وعمدة القاري (١٩/ ٢٣).

(١٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٩/ ٥٨١٧).

(١٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٦٣٥).

(١٤) مجاز القرآن (١/ ٣٨٦). انظر: زاد المسير (٣/ ٣٩).

(١٥) انظر: الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم (ص: ٣٩١). وانظر في معاني الآيات الكريمات: جامع البيان (٢٤/ ٤١٣)، والنكت والعيون (٣/ ٢٥٧)، والوجيز للواحدي (ص: ٦٤٠)، والمحرر الوجيز (٥/ ٤٧٩).

(١٦) التحرير والتنوير (١٥/ ١٦٥).

(١٧) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص: ٧٦٥ – ٧٦٦).

(١٨) انظر: التصاريف لتفسير القرآن ليحيى بن سلام (ص : ٢٥١– ٢٥٢)، وبحر العلوم (٢/ ٥٥٠)، والوجوه والنظائر للدامغاني (ص: ٣٩٥– ٣٩٦)، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (ص: ٥٢١– ٥٢٢).

(١٩) انظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (ص: ٤١٨– ٤١٩).

(٢٠) انظر: بصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٤٣).

(٢١) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٩٠)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٦٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤١٨).

(٢٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٧٠٧)، وبصائر ذوي التمييز (٤/ ٣٤٤)، والكليات (ص: ٧٧٢).

(٢٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص: ٧٦٥ – ٧٦٦).

(٢٤) انظر: الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية (ص: ١٣).

(٢٥) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (٣٨٦/١)، وفقه الأسماء الحسنى للبدر (ص: ٢٢١).

(٢٦) المقصد الأسنى (ص: ١١٧).

(٢٧) انظر: التفسير الكبير (٢١/ ٣٧٤)، وإرشاد العقل السليم (٥/ ١٨٦)، وروح المعاني (٨/ ١١٢).

(٢٨) البحر المحيط (٧/ ٨٤).

(٢٩) روح المعاني (٨/ ١١٢).

(٣٠) انظر: جامع البيان (١٧/ ٥٠١)، ومدارك التنزيل (٢/ ٢٦٩)، والبحر المحيط في التفسير (٧/ ٨٤)، وفتح القدير (٣/ ٢٩٠)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٦٣) ، وتفسير أسماء الله الحسنى كلاهما للسعدي (ص: ١٧٣).

(٣١) انظر: الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية (ص: ١٤).

(٣٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣١)، وزاد المسير (٣/ ٣٩)، وحدائق الروح والريحان (١٦/ ١٩٠).

(٣٣) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣١). وانظر: زاد المسير (٣/ ٣٩).

(٣٤) إرشاد العقل السليم (٥/ ١٨٦). وانظر: روح البيان (٥/ ١٨٤)، روح المعاني (٨/ ١١٢).

(٣٥) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية للخطيب (ص: ٢٣٣).

(٣٦) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٣٧١).

(٣٧) قيل لأهل الذمة: أهل الأرض؛ لأن المسلمين لما فتحوا البلاد أقروهم على عمل الأرض، وحمل الخراج. قاله الحافظ في فتح الباري (٣/ ١٨٠).

(٣٨) أخرجه البخاري في الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي (ح: ١٣١٢)، ومسلم في الجنائز، باب القيام للجنازة (ح: ٩٦١).
(٣٩) انظر الأقوال في المسألة: فتح الباري (٣/ ١٨١).
(٤٠) الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري (١/ ٣٨٦). انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٣/ ١٨٨).
(٤١) انظر: معالم الثقافة الإسلامية لعبد الكريم عثمان (ص: ٢٧١ – ٢٧٢).
(٤٢) رواه ابن ماجه باب حق اليتيم (ح: ٣٦٧٨)، وأحمد (١٥/ ٤١٦، ح: ٩٦٦٦)، وحسن إسناده الألباني في الصحيحة (ح: ١٠١٥)، وقال الأرنؤوط وزملاؤه في تحقيق ابن ماجه (٤/ ٦٤١): "إسناده قوي".
(٤٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص: ٤٢، ح: ٧٩).
(٤٤) رواه أحمد (١٧/ ٤٧٦، ح: ١١٣٨٤)، وقال محققو المسند: "حديث صحيح لغيره".
(٤٥) رواه الترمذي في المناقب ، باب فضل أزواج النبي ﷺ (ح٣٨٩٥)، وقال: حسن غريب صحيح. وصححه الألباني في صحيح الترمذي (ح٣٠٥٧).
(٤٦) رواه البخاري في الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة (ح: ٥٩٧١). ومسلم في البر والصلة والأدب، باب بر الوالدين، وأيهما أحق به (ح: ٢٥٤٨).
(٤٧) رواه النسائي في الجهاد، باب الرخصة في التخلف لمن له والدة (ح٣١٠٦) ، وقال الألباني في صحيح النسائي (٢٩٠٨): "حسن صحيح".
(٤٨) انظر: المفصل في حقوق المرأة أحكام المرأة (١/ ٦).
(٤٩) تفسير ابن كثير (١/ ٣٩٨).
(٥٠) البيتان لحافظ إبراهيم، ديوانه: (ص: ٢٨٢) من قصيدة أنشدها في حفلة أقيمت ببورسعيد (٢٩/ مايو/ ١٩١٠م) لإعانة مدرسة البنات، ومطلعها: كم ذا يكابد عاشقٌ ويلاقي في حبِّ مصرَ كثيرةِ العشّاق
(٥١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٠٢).
(٥٢) رواه أبو داود في الأدب، باب في التفاخر بالأحساب(ح: ٥١١٦)، والترمذي في أبواب المناقب(ح: ٣٩٥٦)، وأحمد (ح: ٨٧٣٦) وحسنه الألباني في الصحيحة (٣/ ٨)، والأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقهم للمسند.
(٥٣) انظر: مرقاة المفاتيح لعلي القاري (٧/ ٣٠٧٣).
(٥٤) انظر: معالم السنن (١/ ٧٩)، وشرح سنن أبي داود للعيني (١/ ٥٢٧)، وعمدة القاري (٣/ ٢٣٥).
(٥٥) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه (ح٢٣٦)، واللفظ له، والترمذي في أبواب الطهارة، باب فيمن يستيقظ فيرى بللًا ولا يذكر احتلامًا (ح١١٣)، وأحمد (ح: ٢٦١٩٥). وقال شعيب الأرنؤوط وزملاؤه في تحقيقهم للمسند: «حسن لغيره».
(٥٦) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٥٤).
(٥٧) الإحكام في أصول الأحكام (٥/ ١٢٢).
(٥٨) انظر: حقوق الإنسان في الإسلام لعبد اللطيف الغامدي (ص: ٢٠٦).
(٥٩) إرشاد العقل السليم (٥/ ١٨٦).
(٦٠) تفسير المراغي (١٥/ ٧٦).
(٦١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٣٤٢)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٦٣ ، ٩١٤ ، ٩٢٥).
(٦٢) انظر: طريق الهجرتين (ص: ٩٥).
(٦٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٧٧).
(٦٤) انظر: عدة الصابرين (ص: ١٤٨).
(٦٥) انظر: غريب الحديث للخطابي (١/ ٣٤٦)، وتفسير غريب ما في الصحيحين (ص: ٤٤٩)، وعدة الصابرين (ص: ١٤٨)، ومدارج السالكين (٢/ ٢٣٧).
(٦٦) البيت من [الطويل] ينظر –بدون نسبة–في : غريب الحديث للخطابي (١/ ٣٤٦)، والتفسير البسيط (١/ ٤٧١)، وربيع الأبرار (٥/ ٢٧٧)، والكشاف كلاهما للزمخشري (١/ ٧)، وقبله:
وما كان شكري وافيًا بنوالكم ولكنني حاولت في الجهد مذهبا

(٦٧) المحرر الوجيز (٣/٣٩٩).
(٦٨) إرشاد العقل السليم (٩/ ١٧١).
(٦٩) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٢٨).
(٧٠) أخرجه مسلم في الطهارة، باب الوضوء (ح: ٢٢٣).
(٧١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/٥٠٠).
(٧٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب الصبر عن محارم الله (ح: ٦٤٧١) واللفظ له، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (ح: ٢٨١٩).
(٧٣) انظر: التفسير الكبير (٢٣/ ٢٦٥).
(٧٤) الكشاف (٤/ ١٧٦)، ومدارك التنزيل (٣/ ٢١٩)، والبحر المحيط (٩/ ٢٧٠)، وفتوح الغيب (١٣/ ٥٣٩).
(٧٥) أخرجه عنه ابن جرير في جامع البيان (٢٤/ ٥٠٨)، وذكره عنه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٥٧).
(٧٦) انظر: جامع البيان (٢٤/ ٥٠٨)، والتبيان في أقسام القرآن (ص: ٤٥)، وتفسير القرآن لابن كثير(٥/ ٩٧).
(٧٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١١٤).
(٧٨) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٣٤٠)، وإرشاد العقل السليم (٩/ ١٢١)، وتيسير الكريم الرحمن (ص:٩١٤).
(٧٩) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٥٤).
(٨٠) انظر: جامع البيان (١٨/ ٣١٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٧)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠٦).
(٨١) انظر: أنوار التنزيل (٥/ ٢١٧)، وتفسير ابن كثير (٧/ ١٥٦)، وإرشاد العقل السليم (٨/ ٢٥٥).
(٨٢) انظر: آيات الله في خلق الإنسان لماهر الصوفي (ص:٨١- ٨٤، ١٠١- ١٦٣)، ومع الطب في القرآن الكريم (ص: ٣٩- ٤٣)، ومقالًا بعنوان: (الإنسان ذلك الكائن العجيب) لعبد الدائم الكحيل، على الشبكة العنكبوتية: (www.kaheel٧.com/ar).
(٨٣) ذكريات – علي الطنطاوي (٨/ ٣٥٨).
(٨٤) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٦٩٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٩٤)، وكشف الأسرار شرح أصول البزدوي (٤/ ٢٣٢)، والجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ٤٨٦)، وزهرة التفاسير (٨/ ٤٤٢٦).
(٨٥) انظر: الموافقات (٢/٢٠، ٢٣)، وآيات الله في خلق الإنسان (ص: ٢٢٦).
(٨٦) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٤٢٣) ، (عقل).
(٨٧) انظر: الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٣٧)، والاستقامة (٢/ ١٦١- ١٦٢).
(٨٨) الاستقامة (٢/ ١٦٢).
(٨٩) انظر: أدب الدنيا والدين (ص: ١٧)، وإحياء علوم الدين (١/ ٨٣)، والتربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية للحازمي (ص: ٤١٧- ٤١٨).
(٩٠) انظر: الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص: ٥٨).
(٩١) انظر: تفسير القرآن الكريم -آل عمران- لابن عثيمين (١/ ٤٨ – ٤٩).
(٩٢) انظر: المعجم المفهرس لمحمد فؤاد عبد الباقي (ص: ٤٦٨ – ٤٦٩).
(٩٣) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد (ص: ٣٥).
(٩٤) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٥٧).
(٩٥) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ١١٤) وأبو القاسم الكرماني في غرائب التفسير (١/ ٦٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٩)، والألوسي في روح المعاني (٨/ ١١٢).
(٩٦) ذكره عنه البغوي في معالم التنـــزيل (٣/ ١٤٥).
(٩٧) المحرر الوجيز (٣/ ٤٧٣).
(٩٨) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٨٩ – ٥٩٠).
(٩٩) انظر: تفسير المراغي (٢٧/١٠٦).

(١٠٠) انظر: التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٣٣).
(١٠١) البيت من [البسيط] لابن الرومي في ديوانه: (١/ ١٩٦). انظر: التمثيل والمحاضرة للثعالبي (ص: ٤٣٥)، وزهر الآداب وثمر الألباب للقيرواني (١/ ١٧٣). ولفظه في ديوانه:
لولا عجائبُ لُطفِ الله ما نَبَتَتْ تلك الفضائلُ في لحمٍ وفي عَصَبِ
(١٠٢) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٠٤ – ٢٠٥).
(١٠٣) انظر: حقوق الإنسان في الإسلام للغامدي (ص: ٧٣ – ٧٤).
(١٠٤) قال به الضحاك. ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ١١٤)، والبغوي في معالم التنـزيل (٣/ ١٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٩)، والألوسي في روح المعاني (٨/ ١١٢).
(١٠٥) أخرجه عنه ابن جرير في جامع البيان (٢٢/ ٨)، وذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٧٧)، وبه قال السمرقندي في بحر العلوم (٣/ ٣٠٤).
(١٠٦) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٨٩).
(١٠٧) نسب هذا القولَ الواحديُّ في الوسيط (٤/ ٢١٧) إلى أبي العالية، ومرة، وابن زيد، والحسن، والسدي، ونسبه البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣٣١) إلى أبي العالية، وابن زيد، والحسن.
(١٠٨) جامع البيان (٢٢/ ٨).
(١٠٩) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٩ – ٢٨٠).
(١١٠) رسائل ابن حزم (٤/ ٩٤).
(١١١) تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢١٤).
(١١٢) انظر: أدب الدنيا والدين (ص: ٣٦).
(١١٣) رواه الترمذي في العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (ح: ٢٦٨٥)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب". وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (ح: ٤٢١٣).
(١١٤) رواه أبو داود في العلم، باب فضل العلم (ح: ٣٦٤١)، والترمذي في العلم(ح: ٢٦٨٢)، وابن ماجه في مقدمة سننه، باب فضل العلماء(ح:٢٢٣)، وأحمد (٥/١٩٦). قال ابن حجر في الفتح (١/١٦٠): " له شواهد يتقوّى بها". وقال الألباني في حاشية صحيح الترغيب(ص: ٣٣): "مدار الحديث على داود بن جميل، عن كثير بن قيس، وهما مجهولان، لكن أخرجه أبو داود من طريق أخرى عن أبي الدرداء بسند حسن" .
(١١٥) للإمام ابن القيم بحث مستفيض وقيم للغاية في بيان فضل العلم وأهله، وذلك في كتابه الماتع (مفتاح دار السعادة (١/ ٤٨ وما بعدها) قال في بدايته: "الأصل الأول في العلم وفضله وشرفه، وبيان عموم الحاجة إليه، وتوقف كمال العبد ونجاته في معاشه ومعاده عليه" ثم ذكر ثلاثًا وخمسين وجهًا بعد المئة في فضل العلم وشرف أهله..، راجعه إن شئت؛ فإنه غاية في النفاسة!! .
(١١٦) طبقات الحنابلة (١/١٤٦).
(١١٧) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ١٧١).
(١١٨) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٢). انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٩).
(١١٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٦٤)، وذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٢٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٤٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(١٢٠) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٧٨).
(١٢١) انظر: الكشاف (٤/ ٧٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٢٠)، والبحر المحيط (١٠/ ٥٠٧).
(١٢٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ٤٣٧).
(١٢٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٥٤٤).
(١٢٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٨٩).
(١٢٥) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ [الأنفال: ٤١] ، (ح٣١١٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، (ح١٠٣٧).
(١٢٦) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٥٤)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٢٨).
(١٢٧) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٩– ١٠١)
(١٢٨) في ظلال القرآن (١/٥٠٦–٥٠٧).
(١٢٩) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٣، ٩٩).

(١٣٠) مجموع الفتاوى (١٩/١٠١).
(١٣١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٥٣).
(١٣٢) انظر: أبحاث هيئة كبار العلماء (١/ ٦٦٩).
(١٣٣) انظر: الحسبة في الإسلام لابن تيمية (ص: ١٤١).
(١٣٤) في ظلال القرآن (١/٥١١-٥١٢).
(١٣٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/١٦٤).
(١٣٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص:١٤٢).
(١٣٧) انظر: في ظلال القرآن (٢/ ٨٤٥ - ٨٤٦).
(١٣٨) انظر: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب (ص: ٤٥- ٥٣).
(١٣٩) انظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها للميداني (ص: ٣٤٣).
(١٤٠) انظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٣٢١ - ٣٢٢).
(١٤١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٢)، والكشف والبيان(٦/ ١١٤)، والنكت والعيون (٣/ ٢٥٧)، وتفسير القرآن للسمعاني(٣/ ٢٦٢)، ومعالم التنـــزيل(٣/ ١٤٥)، والكشاف (٢/ ٦٨٠)، وزاد المسير (٣/ ٣٩).
(١٤٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٧٦).
(١٤٣) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٩٢).
(١٤٤) انظر: فتح القدير (٤/ ٢٧٧)، والتفسير القرآني للقرآن (١١/ ٥٧٦). وهو من أحسن ما قيل في معنى النعم الظاهرة والنعم الباطنة، وللعلماء في تفسيرهما أقوال كثيرة انظرها في: جامع البيان ٢٠/١٤٨، والكشف والبيان (٧/ ٣١٨)، والنكت والعيون ٣٤٢/٤، والوسيط (٣/ ٤٤٥)، ومعالم التنـــزيل (٦/٢٩٠).
(١٤٥) التحرير والتنوير(٢١/١٧٥).
(١٤٦) أخرجه عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٣١٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٥). وذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٣٣).
(١٤٧) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٤٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٤٩).
(١٤٨) التفسير الكبير (٢٠/ ٢٢٢).
(١٤٩) التفسير الكبير (١٩/ ٩٩ - ١٠٠).

فهرس المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن، لأحمد الجصاص (ت٣٧٠هـ)، تحقيق:محمد القمحاوي، دار إحياء التراث العربي ط. ١٤٠٥ هـ.
٢- الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي، دار عالم الفوائد، السعودية، ، ط. الأولى، ١٤١٩هـ.
٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،لأبي السعود ،العمادي (ت٩٨٢هـ)،دار إحياء التراث العربي بيروت.
٤- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، لمناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
٥- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لأبي العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: د.ناصر العقل، دار عالم الكتب، بيروت، ،ط. السابعة، ١٤١٩هـ.
٦- بحر العلوم، لأبي الليث، نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت٣٧٣هـ). تحقيق وتعليق: علي محمد معوض، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.
٧- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، تحقيق:صدقي جميل، دار الفكر بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين الفيروزأبادي، (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد بن علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
٩- تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٠- التبيان في أقسام القرآن، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد الفقي، دار المعرفة.
١١- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.
١٢- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، (ت٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، ط. الأولى، ١٤١٦هـ.
١٣- تفسير أسماء الله الحسنى، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢ ، ط. ١٤٢١هـ.
١٤- تفسير جزء (عم)، لمحمد العثيمين(ت١٤٢١هـ)، إعداد: فهد السلمان، دار الثريا، ، ط. الثانية، ١٤٢٣ هـ.
١٥- تفسير الراغب الأصفهاني، للراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)،تحقيق: د. محمد بسيوني،ط. الأولى:١٤٢٠ هـ.
١٦- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي (ت٤٨٨هـ)، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد، مكتبة السنة- القاهرة، ط. الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٧- تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد المروزى السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس ، دار الوطن، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
١٨- تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
١٩- تفسير القرآن العظيم، لأبي محمد، عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي(ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية، ط. الثالثة- ١٤١٩ هـ.
٢٠- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب(ت١٣٩٠هـ)، ط. دار الفكر العربي ، القاهرة.
٢١- التفسير الكبير، لأبي عبد الله الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
٢٢- تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي (ت١٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط. الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
٢٣- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط. الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
٢٤- التفسير الوسيط. للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط. الأولى- ١٤٢٢ هـ.
٢٥- تهذيب اللغة، لأبي منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط. الأولى، ٢٠٠١م.
٢٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٢٧- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي(ت١٣٧٦هـ) ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٨- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله، القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط. الثانية، ١٣٨٤هـ .
٢٩- جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (ت٣١٠هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م.
٣٠- جامع العلوم والحكم، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط. السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٣١- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت٨٧٥هـ)،تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد ، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط. الأولى- ١٤١٨ هـ.
٣٢- الحسبة في الإسلام ، لأبي العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (ت٧٢٨ هـ)، تحقيق: علي بن نايف الشحود، ط. الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٣٣- حقوق الإنسان في الإسلام، للدكتور عبد اللطيف بن سعيد الغامدي، أكاديمية نايف العربية الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، ط. الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٣٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت.
٣٥- رسائل ابن حزم، لأبي محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٣٦- روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، (ت١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت.
٣٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود بن عبد الله الألوسي (ت١٢٧٠هـ)،تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط.دار الكتب العلمية ، ط. الأولى، ١٤١٥ هـ.
٣٨- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبي الفرج، عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط. الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٣٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)،مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط. السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
٤٠- زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة، (ت١٣٩٤هـ)،دار الفكر .
٤١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، (ت١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولى.
٤٢- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت٢٧٥هـ)،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٤٣- سنن الترمذي، لأبي عيسى،محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، (ت٢٧٩هـ)،تحقيق وتعليق: عدد من المحققين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط. الثانية، ١٣٩٥ هـ.
٤٤- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)،تحقيق: محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط. الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
٤٥- شرح سنن أبي داود،لأبي محمد العيني (ت٨٥٥هـ)،تحقيق: خالد المصري، مكتبة الرشد ، ط. الأولى، ١٤٢٠
٤٦- شرح شافية ابن الحاجب، لمحمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، (ت٦٨٦هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط. ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
٤٧- شرح صحيح البخاري، لابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط. الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٤٨- شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى – ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م.
٤٩- شعب الإيمان، لأحمد البيهقي (ت٤٥٨هـ)،تحقيق: د.عبد العلي حامد،مكتبة الرشد ط. الأولى، ١٤٢٣هـ.
٥٠- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت٥٧٣هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري ، مطهر بن علي الإرياني ، د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر -بيروت ، دار الفكر -دمشق ، ط. الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
٥١- الصحاح ،لأبي نصر الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين،بيروت،ط. ١٤٠٧ هـ.
٥٢- صحيح البخاري، لأبي عبدالله البخاري ، تحقيق: محمد الناصر، دار طوق النجاة ، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ.
٥٣- صحيح الجامع الصغير وزياداته، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.
٥٤- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)،تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٥- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، ط.الثانية، ١٣٩٤هـ.
٥٦- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، ط.دار ابن كثير، دمشق، ومكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط. الثالثة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
٥٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد العيني (ت٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٥٨- العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)،تحقيق: د مهدي المخزومي، وزميله، دار ومكتبة الهلال.
٥٩- غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة بن نصر، الكرماني، (ت نحو ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
٦٠- غريب الحديث، لأبي سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم البستي، المعروف بالخطابي، (ت٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، ط. ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
٦١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد بن الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)،دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب- دمشق، ،ط. الأولى- ١٤١٤ هـ.
٦٢- فقه الأسماء الحسنى، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط. الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
٦٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري، (ت١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط. الأولى، ١٣٥٦هـ.
٦٤- في ظلال القرآن، لسيد قطب الشاربي، (ت١٣٨٥هـ)،دار الشروق- بيروت، القاهرة، ط. السابعة عشر.
٦٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط. الثالثة ١٤٠٧ هـ.
٦٦- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت٤٢٧هـ)،تحقيق: ابن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.الأولى ١٤٢٢، هـ .
٦٧- اللباب في علوم الكتاب،لأبي حفص، عمر بن علي بن عادل الحنبلي، (ت٧٧٥هـ)،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض،دار الكتب العلمية- بيروت،ط.الأولى، ١٤١٩هـ.
٦٨- لمحات في الثقافة الإسلامية، لعمر الخطيب، مؤسسة الرسالة، ط. الخامسة عشرة ١٤٢٥هـ.
٦٩- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى،(ت ٢٠٩هـ)، تحقيق:محمد سزكين،مكتبة الخانجى،القاهرة،١٣٨١ هـ.
٧٠- مجموع الفتاوى، لأبي العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)،تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.
٧١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،لأبي محمد، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، (ت٥٤٢هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية – بيروت،ط. الأولى- ١٤٢٢ هـ.
٧٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد البغدادي،دار الكتاب العربي- بيروت،ط.الثالثة،١٤١٦هـ.
٧٣- مدارك التنـــزيل وحقائق التأويل،لأبي البركات،عبد الله بن أحمد النسفي (ت٧١٠هـ)، حققه: يوسف بديوي، وراجعه: محيي الدين ديب، دار الكلم الطيب، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٩هـ.
٧٤- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن، علي بن محمد الهروي القاري، (ت١٠١٤هـ) ، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٧٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد، وآخرون،إشراف: د عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٢١ هـ.
٧٦- مسند البزار (البحر الزخار). لأبي بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار (ت٢٩٢هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط. الأولى.

٧٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن،لأبي محمد، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط. الأولى ، ١٤٢٠ هـ.
٧٨- معالم السنن، لأبي سليمان الخطابي (ت٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية – حلب، ط. الأولى ١٣٥١هـ.
٧٩- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق، إبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب – بيروت، ط. الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٨٠- معجم ديوان الأدب،لأبي ابراهيم، إسحاق بن إبراهيم الفارابي، (ت٣٥٠هـ)،تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة:د.إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب ،القاهرة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م.
٨١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، (ت١٣٨٨هـ)، دار الدعوة ،تركيا، ١٤٠٦هـ.
٨٢- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس ، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٨٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،لابن قيم الجوزية، (ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية،بيروت.
٨٤- مفردات ألفاظ القرآن، للحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق ،بيروت، ط. الأولى – ١٤١٢ هـ.
٨٥- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى،لأبي حامد، محمد بن محمد الغزالي، (ت٥٠٥هـ)،تحقيق: بسام عبد الوهاب ، دار الجفان والجابي – قبرص، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ.
٨٦- الموافقات، لإبراهيم الشاطبي ،(ت٧٩٠هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن ، دار عفان، ط. الأولى، ١٤١٧هـ .
٨٧- النكت والعيون، لأبي الحسن، علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
٨٨- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، لمحمد النجدي ، مكتبة الذهبي ، الكويت، ط٢، ١٤١٧هـ.
٨٩- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي، (ت٤٦٨هـ)،تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم، الدار الشامية– دمشق، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٥ هـ.
٩٠- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي، (ت٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٥ هـ.